

الشرح الصغير  
على المنظومة الحائية في السنة

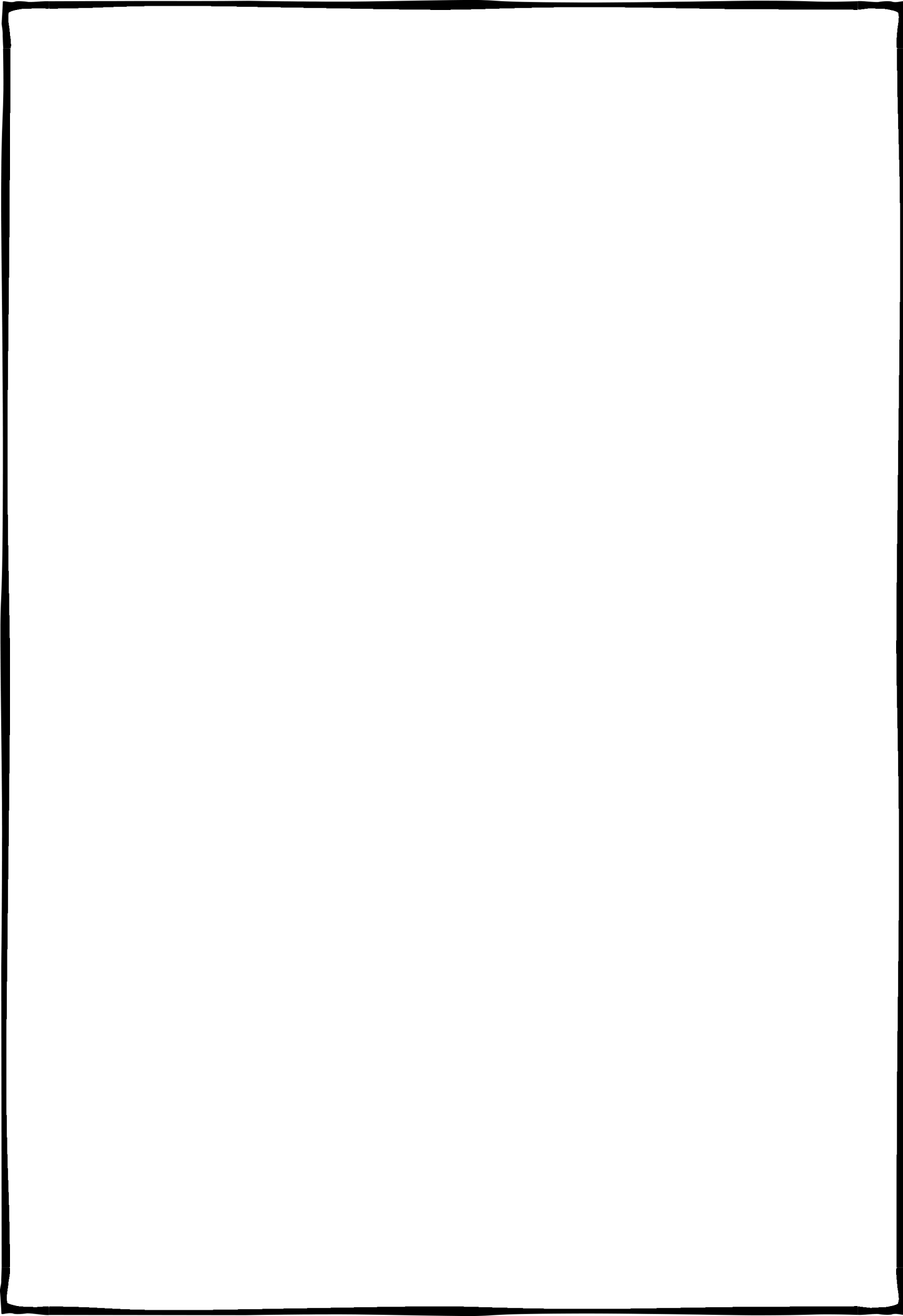
لأبي بكر بن أبي داود السجستاني رحمه الله

(٢٣٠ - ٣١٦)



عَلَّقَ عَلَيْهَا

أَبُو سُفْيَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّامِلِيُّ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترةً من الرُّسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرونَ منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدَّوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين؛ الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مُجمِّعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهَّال الناس بما يُشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين. (١)

وبعد: فإن علم التوحيد أصلُ الأصول في دين الإسلام، لأنه أساس دعوة الأنبياء والرسول، وغايته: إفراد ربِّ العالمين بما ثبت له من الجلال والكمال، وصرَّف العبادة له وحده دون سواه، ولقد أدرك ذلك وعلمه سلفُ هذه الأمة الصالحين، فاعتنوا به غاية العناية، وكتبوا في بيانه وتوضيحه الكثير والكثير، مما أثلج صدورَ الموحدين، وعبادَ الله المخلصين (٢)، وقدَّموا لهذه الأمة الغالي والنفيس لحماية جناب العقيدة على مرِّ العصور.

(١) نقلاً من مقدمة كتاب الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل.

(٢) نقلاً من مقدمة الشيخ الدكتور عبد الله شاکر لـ (متن درة البيان في أصول البيان) للشيخ الدكتور محمد

فهذا حَبْرُ الأَمَةِ وتُرْجَمَانُهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يناظر الخوارج في قضية التحكيم، حتى رجع معه أَلْفَان. (١)

وهذا الإمام عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يصدُّ هجمةً من هجمات المبتدعة وهم القدرية، فقد روي الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه عن يحيى بن يَعْمَرَ، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة مَعْبُدُ الجُهَنِيِّ، فانطلقت أنا ومُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحِمَيْرِيِّ حَاجِّينَ - أو معتمرين -، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفَّق لنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بن الخطاب داخلًا المسجد، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن؛ إنه قد ظهر قِبَلَنَا ناس يقرءون القرآن، وَيَتَقَفَّرُونَ العلم (٢)، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنْفٌ، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم براءٌ منِّي، والذي يحلف به عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا، فأنفقه ما قَبِلَ اللهُ منه؛ حتى يؤمن بالقدر... الحديث. (٣)

وَمِنْ بَعْدِهِمْ أُمَّةٌ كَثُرَ، مِنْهُمْ الإِمَامُ الشَّعْبِيُّ (٤) رَحِمَهُ اللَّهُ فقد كان شوكةً في حُلُوقِ الشَّيْعةِ الروافض، فقد روى اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ عن عبد الرحمن بن مالك بن مَغُولٍ، عن أبيه، قال:

---

(١) أخرج هذه المناظرة النسائي في (السنن الكبرى/٨٥٢٢)، والحاكم في (المستدرک: ٢/١٦٤/٢٦٥٦)، وعنه البيهقي في (السنن الكبرى: ٨/٤٣٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٢) قال النووي: أي: يبحثون عن غامضه، ويستخرجون خفيه. (شرح مسلم: ١/٢١٣).

(٣) مسلم/١

(٤) هو الإمام عامر بن سَراجِيلَ بن عبد بن ذِي كِبَارٍ، من الطبقة الثانية من التابعين.

قال الشعبي: يا مالك: لو أردتُ أن يُعطيني رقابهم عبيدًا، أو أن يملئوا بيتي ذهبًا، على أن أكذب لهم على عليٍّ؛ لفعلوا، ولكن والله لا كذبتُ عليه أبدا... (١)

وهكذا يبعث الله عز وجل في كل فترة أئمةً، يحفظون على الناس عقيدتهم، ويذبُّون عنهم شبهات الفرق الضالة، مصداقًا لقول النبي ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ..." (٢)

ومن هؤلاء أيضًا: إمام أهل السنة والجماعة: الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قام لله لنصرة هذا الدين، وتحمل الأذى في محنة خَلَقَ القرآن، حتى رفع الله عز وجل به راية العقيدة الصحيحة.

وقد سار على دربهم الأئمة في نُصرة عقيدة أهل السنة والجماعة، واختلفت طُرُقهم في نصرة الدين، ورفع راية العقيدة الصافية.

فمنهم: من سَرَدَ العقائد سردًا، يحدد معالمها، ويبين أفرادها، دون التعرض للأدلة من الكتاب والسنة، ك(أصول السنة) لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، و(شرح السنة) للبرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ، و(العقيدة الطحاوية) للطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنهم: من قَسَمَ العقيدة إلى أبواب، كل باب يمثل جزئية من الجزئيات العقدية، مشتملاً على أدلتها من الكتاب والسنة، وأقوال السلف، مثل كتاب (السنة) لعبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب (التوحيد) لابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨/٣٤٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٤٠٣)، والترمذي في السنن (٢٢٢٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرک (٨٣٩٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

ومنهم: من ذكر العقائد السلفية مقرونة بأدلتها من الكتاب والسنة، ككتاب (عقيدة السلف أصحاب الحديث) للصابوني رَحِمَهُ اللهُ، و(لمعة الاعتقاد) لابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللهُ، و(الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

ومنهم: من صنف في مسألة مفردة من مسائل الاعتقاد، مما عظم فيها الاختلاف، مثل (الرؤية، والنزول، والصفات) للدارقطني رَحِمَهُ اللهُ، و(العلو) للذهبي رَحِمَهُ اللهُ.

ومنهم: من تصدى للمبتدعة والزنادقة بالرد على شبهاتهم وتفنيدها، مثل (الرد على الجهمية) لأحمد بن حنبل، وابنه عبد الله، والدارمي، والبخاري، وابن قتيبة رَحِمَهُمُ اللهُ.

ومنهم: من نظم العقائد السلفية شعراً، حتى يسهل حفظها واستحضارها، مثل (الحائية) لأبي بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ، و(الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية) لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، و(العقيدة السفارينية) للسفاريني رَحِمَهُ اللهُ.<sup>(١)</sup>

وكتابتنا هذا نظم من النُظم العقائدية، التي بين فيها المصنف منهج أهل السنة والجماعة، بأسلوب سهل رائق.

---

(١) نقلاً من كتاب (كتب أئني عليها العلماء) لعبد الإله بن عثمان الشايع، بتصرف.

## ترجمة المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ

### اسمه:

أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد، أبو بكر السجستاني، صاحب التصانيف.

### مولده:

وُلِدَ بِسَجِسْتَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِئَتِينَ (٢٣٠هـ)، وَسَافَرَ بِهِ أَبُوهُ وَهُوَ صَبِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: رَأَيْتُ جَنَازَةَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ.

قال الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ: وكانت في سنة ثمان وثلاثين ومئتين (٢٣٨هـ) في شعبان، فأول شيخ سمع منه: محمد بن أسلم الطوسي، وسرَّ أبوه بذلك لجلالة محمد بن أسلم.

### مشايخه:

روى عن: أبيه، وعمه، وعيسى بن حماد زغبة، وأحمد بن صالح، ومحمد بن يحيى الزماني، وأبي الطاهر بن السرح، وعلي بن خشرم، ومحمد بن بشار، ونصر بن علي، وعمرو بن عثمان الحمصي، وكثير بن عبيد، وإسحاق الكوسج، ومحمد بن يحيى الذهلي، وإسحاق بن إبراهيم، وخلق كثير بخراسان، والحجاز والعراق، ومصر والشام، وأصبهان وفارس. وكان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه.

### مصنفاته، منها:

- ١- السنن.
- ٢- المصاحف.
- ٣- الناسخ والمنسوخ.
- ٤- البعث.
- ٥- نظم الحائية في السنة، وأشياء.

## تلاميذه:

حدّث عنه خلق كثير، منهم: ابن حبان، وأبو أحمد الحاكم، وأبو عمر بن حيويه، وابن المظفر، وأبو حفص بن شاهين، وأبو الحسن الدارقطني، وعيسى بن علي الوزير، وابن المقرئ، وآخرون.

## سيرته:

كان يقول **رَحْمَةُ اللَّهِ**: دخلت الكوفةَ ومعِي درهمٌ واحدٌ، فأخذتُ به ثلاثين مُدًّا باقلا، فكنتُ آكل منه، وأكتبُ عن أبي سعيد الأشج، فما فرغَ الباقلَا حتى كتبت عنه ثلاثين ألفَ حديث، ما بين مقطوع ومرسل.

قال أبو بكر بن شاذان: قدم أبو بكر بنُ أبي داود سجستان، فسأله أن يحدثهم، فقال: ما معي أصل فقالوا: ابنُ أبي داود وأصل! قال: فأثاروني، فأملت عليهم من حفطي ثلاثين ألفَ حديث.

وكان رئيسًا عزيز النفس، مُدًّا بنفسه، سامحه الله.

قال أبو حفص بن شاهين: أراد الوزير علي بن عيسى أن يصلح بين ابن أبي داود، وابن صاعد، فجمعهما، وحضر أبو عمر القاضي، فقال الوزير: يا أبا بكر! أبو محمد أكبر منك، فلو قمت إليه، فقال: لا أفعل، فقال الوزير: أنت شيخ زيف، فقال: الشيخ الزيف: الكذاب على رسول الله ﷺ، فقال الوزير: من الكذاب؟ قال: هذا، ثم قام، وقال: تتوهم أني أدلُّ لك لأجل رزقي، وأنه يصلُّ إليَّ على يدك؟! والله لا آخذ من يدك شيئًا، قال: فكان الخليفة المقتدر يزن رزقه بيده، ويبعث به في طبق على يد الخادم.

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: سألت الدارقطني عن ابن أبي داود، فقال: ثقة، كثير الخطأ في الكلام على الحديث.



وقد ذكره أبو أحمد بن عدي في (كامله)، وقال: لولا أنا شرطنا أن كل من تكلم فيه ذكرناه لما ذكرت ابن أبي داود، قال: وقد تكلم فيه أبوه، وإبراهيم بن أورمة، وينسب في الابتداء إلى شيء من النصب.

ونفاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط، ثم رده الوزير علي بن عيسى، فحدث، وأظهر فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم تحنبل فصار شيخا فيهم، وهو مقبول عند أصحاب الحديث. قال صالح بن أحمد الهمداني الحافظ: كان ابن أبي داود إمامَ العراق ونصب له السلطان المنبر، وكان في وقته ببغداد مشايخُ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والاتقان ما بلغ. وكان ابن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ زاهداً ناسكاً.

### وفاته:

مات في ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاث مئة (٣١٦هـ)، وخلف ثلاثة بنين وخمس بنات، وعاش سبعا وثمانين سنة، صلى عليه يوم مات نحو من ثلاث مئة ألف إنسان وأكثر، وصُلي عليه ثمانين مرة.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أنشدنا أبو العباس أحمد بن عبد الحميد، قال: أنشدنا الامام أبو محمد بن قدامة سنة ثمان عشرة وست مئة (٦١٨هـ)، أخبرتنا فاطمة بنت علي الوقاياتي، أخبرنا علي بن بيان، أخبرنا الحسين بن علي الطنَّاجيري، حدثنا أبو حفص بن شاهين، أنشدنا أبو بكر بن أبي داود لنفسه:

وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى

أَنْتَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبِحُ

وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي

وذكر الأبيات إلى آخرها. (١)

(١) انظر سير أعلام النبلاء: ٢٣٦: ٢٢١/١٣







## التعريف بالمنظومة الحائية

هي قصيدة في السنة، ختم الإمام أبياتها بحرف الحاء، وقد صحت نسبتها إليه. ومن أشهر من ذكرها، الإمام الأجرى رَحْمَةُ اللَّهِ (٣٦٠هـ) في كتابه (الشريعة)، قال: وقد كان أبو بكر بن أبي داود رَحْمَةُ اللَّهِ أنشدنا قصيدة قالها في السنة وهذا موضعها، وأنا أذكرها ليزداد بها أهل الحق بصيرة وقوة إن شاء الله:

أملى علينا أبو بكر بن أبي داود في مسجد الرصافة في يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة تسع وثلاثمائة، فقال تجاوز الله عنه:

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى      وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحَ

ثم ذكر الأبيات. (١)

وقد شُرِّحَتْ هذه القصيدة عدّة مرات:

١- شرح الأجرى (٣٦٠هـ)، قال الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ في كتاب العلو: هذه القصيدة متواترة

عن ناظمها، قد رواها الأجرى، وصنف لها شرحًا.

٢- شرح ابن البناء الحنبلي.

٣- شرح السفاريني (١١٨٨هـ) المسمى: (لوائح الأنوار السنّية ولوائح الأفكار السنّية

شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية).

٤- شرح (التحفة السنّية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية) للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن

عبد المحسن العباد البدر.

٥- شرح للشيخ سعود الشريم. (٢)

(١) الشريعة: ٢٥٦٢/٥

(٢). نقلًا من مقدمة (شرح المنظومة الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة) للشيخ الفوزان.

٦- شرح للشيخ مجدي عرفات.

٧- شرح (المنظومة الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة) للشيخ الدكتور صالح بن الفوزان.

هذا وقد اعتمدت في شرحي على رواية الآجري رَحْمَةُ اللَّهِ التي ذكرها في كتابه (الشریعة)، وقد زاد بعض الشُّراح أبياتاً عليها، وقد اعتمدت في متنها على نسخة مطبوعة، وهي للشيخ الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدُّمَيْجِي<sup>(١)</sup>، واسميتها (الشرح الصغير على حائية ابن أبي داود) وسيردفه إن شاء الله تعالى (الشرح الكبير).

والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً وثقياً، وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها، وأسأله سبحانه أن يغفر لأبي وأمي، وأن يرحمهما كما ربياني صغيراً، وأن يبارك لي في ذريتي، ويجمعني وإياهم في الفردوس الأعلى.

هذا، والله تعالى أسأل أن يرحم أئمتنا الذين سبقونا بالإيمان، وأن يبارك ويطيل أعمارهم في طاعته، وأن ينفعنا بهم، ويغفر لهم زلاتهم.

أَبُو سُفْيَانَ

مَحْمُودُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّامِلِيِّ

صَفْرُ ١٤٣٥ هـ

---

(١) طبعة دار الوطن السعودية، وهي رسالة جامعية نُوقِشت في جامعة أم القرى، وقد ذكر المحقق في مقدمته أنه اعتمد في تحقيقه على خمسة نسخ خطية: اثنتان في تركيا، وواحدة في مصر، وأخرى في المغرب، والخامسة في الهند، بالإضافة إلى النسخة المطبوعة في مصر، التي نشرها العلامة محمد حامد الفقي رَحْمَةُ اللَّهِ عام (١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م)، اعتماداً على النسخة المصرية فقط، وقد اعتمد على نسختين إضافيتين لباب من أبواب الكتاب وهو (التصديق بالنظر).







## مَتْنُ الْحَاثِيَةِ

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى  
 وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ  
 وَقُلْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ كَلَامٍ مَلِكِنَا  
 وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا  
 وَلَا تَقُلْ الْقُرْآنُ خَلَقَ قَرَأْتَهُ  
 وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً  
 وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ  
 وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا  
 رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ  
 وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ  
 وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ  
 إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ  
 يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْتَقِ غَافِرًا  
 رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ  
 وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ  
 وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ  
 وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ  
 سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ  
 وَعَائِشُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالِنَا  
 وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ  
 وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَالتَّابِعُونَ بِحُسْنِ مَا

وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ  
 أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبُحُ  
 بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا  
 كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ جِهْمٍ وَأَسْجَحُوا  
 فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوَضِّحُ  
 كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ  
 وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ  
 بِمُضْدَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحُ  
 فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِحُ  
 وَكَلَّمَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفُحُ  
 بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمَتَمَدِّحُ  
 فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ  
 وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَامْنِحُ  
 أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا  
 وَزِيرَاهُ قُدَمَا نَمَّ عُمَانُ أَرْجَحُ  
 عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ  
 عَلِيُّ نُجَبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ  
 وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمَمْدَحُ  
 مُعَاوِيَةُ أَكْرَمُ بِهِ فَهُوَ مُضْلِحُ  
 بِنَصْرِهِمْ عَنْ ظُلْمَةِ النَّارِ زُخْرُحُوا  
 حَدُّو حَدُّوهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا

وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِينُ وَتَجْرَحُ  
وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ  
دِعَامَةَ عِقْدِ الدِّينِ وَالِدَيْنِ أَفِيحُ  
وَلَا الْخَوْصَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ  
مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَخْمِ تُطْرَحُ  
كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ  
وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ  
فَكُلُّهُمْ يَعِصِي - وَذُو الْعَرْشِ يَضْفَحُ  
مَقَالَ لَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ  
أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالِدِّينِ يَمْرُحُ  
وَفَعَلَ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ  
بَطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ  
فَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ  
فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ  
فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبِيثٍ وَتُضْبِحُ

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ  
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ  
وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيْقَنَ فَإِنَّهُ  
وَلَا تُتَكَبَّرَنَّ جَهْلًا تَكْبِيرًا وَمُنْكَرًا  
وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ  
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ نَحْيًا بِمَائِهِ  
فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعُ  
وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا  
وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ  
وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبَا بَدِينِهِ  
وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ  
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً  
وَدَعُ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ  
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ  
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ: هَذَا قَوْلِي، وَقَوْلُ أَبِي، وَقَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَقَوْلُ مَنْ أَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ  
الْعِلْمِ، وَمَنْ لَمْ نُدْرِكْ مِنْ بَلَّغْنَا عَنْهُ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَذَبَ.





# الشرح



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ اهْدَى

### المفردات

(تَمَسَّكَ): أي اعتصم. (١)

(بِحَبْلِ اللَّهِ): الحبل هو الرِّباط (٢)، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الحبل: فإنه السبب الذي يُوصَلُ به إلى البُغية والحاجة، ولذلك سُمي الأمان حبلًا؛ لأنه سببٌ يوصل به إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزع والدُّعْر (٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٤).

وقد ذكر السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ عدة معاني لقوله تعالى: ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ ذكرها الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره، منها أنه: الإسلام، وقيل: الجماعة، وقيل: هو عهد الله لعباده، وقيل: هو إخلاص التوحيد لله عز وجل، وقيل: هو القرآن (٥) وهو أولها، وأشملها لكل ما سبق.

وقد جاء في السنة ما يؤيده، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه، عن زيد بن أرقم

(١) القاموس: ١٥٣٢/مسك، قال الفيروزآبادي رَحِمَهُمُ اللَّهُ: وَمَسَّكَ بِهِ وَأَمْسَكَ وَتَمَسَّكَ وَتَمَسَّكَ وَاسْتَمَسَّكَ

وَمَسَّكَ: احتبس، واعتصم به.

(٢) القاموس (٣٢٤/حبل).

(٣) تفسير الطبري (٣/٣٥٥).

(٤) آل عمران/١٠٣

(٥) تفسير الطبري (٣/٣٥٥:٣٥٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ" (١)

ففي الحديث دلالة واضحة: أن حبل الله تعالى هو القرآن الكريم.

وروى الدارمي، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ، تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ يُنَادُونَ: يَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا الطَّرِيقُ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ، فَإِنَّ حَبْلَ اللَّهِ الْقُرْآنُ" (٢)

(وَاتَّبِعِ الْهُدَى): الْهُدَى: الرِّشَادُ وَالِدَّلَالَةُ (٣)، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ النُّورُ وَالْبَيَانُ وَالْبَصِيرَةُ (٤)، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْهُدَى هُدْيَانٌ: هُدَى دَلَالَةٌ: وَهُوَ الَّذِي تَقْدِرُ عَلَيْهِ الرِّسَالُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٥)، وَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦)، وَهُدَى تَأْيِيدٌ وَتَوْفِيقٌ، وَهَذَا الْهُدَى بِيَدِ الرَّبِّ عِزِّ وَجَلِّ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ الرِّسَالُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٧)، (٨).

فالنوع الأول من الهداية هو المراد بالاتباع، وهو سُنَنُ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) مسلم (٢٤٠٨).

(٢) سنن الدارمي (٣٣٦٠)

(٣) القاموس (١٦٨٢/هدى).

(٤) تفسير ابن كثير (١/١٢٦).

(٥) الرعد/٧

(٦) الشورى/٥٢

(٧) القصص/٥٦

(٨) تفسير القرطبي (١/١٦١).



(بِدْعِيًّا) من بَدَعَ، أي: أنشأ شيئاً على غير مثال سابق<sup>(١)</sup>، قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"<sup>(٣)</sup> وفي لفظ عند مسلم: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"<sup>(٤)</sup>.

(لَعَلَّكَ تُفْلِحُ): لعل كلمة طمع وإشفاق<sup>(٥)</sup>، وكأنه يُشفق عليه أن يكون مبتدعاً في دين الله عز وجل.

(تُفْلِحُ) من الفلاح: قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: هو الظَّفَرُ بالمطلوب، والنجاة من المهوب<sup>(٦)</sup>، وقال: أصله من الفلح: وهو الشق والقطع، ومنه فلاحه الأرضين، أي: شقها للحرث لتحصيل الزرع منها، وتجنب بوارها، ومنه المفلحون، أي: الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا.<sup>(٧)</sup>

(١) مقاييس اللغة (٧٨/بدع).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢٨).

(٣) البخاري (٢٦٩٧)، مسلم (١٧١٨/١٧).

(٤) مسلم (١٧١٨/١٨).

(٥) القاموس (١٤٧٦/لعل).

(٦) تفسير القرطبي (١/١٨٠).

(٧) تفسير القرطبي (١/١٧٩: ١٨٠) بشيء من التصرف.

## المعنى العام:

يقول المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ ناصحًا ومشفقًا: اعتصم بكتاب الله تعالى، ولا تلتفت عنه يمنةً أو يسرى، فإن الهدى كل الهدى في الاعتصام به، واحذر أن تخالفه لهوى، أو لجهلٍ، أو لتعصبٍ لغيره، فتصير من أهل البدع التي حذرتاه الكتابُ والسنة، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعًا ولا تفرقوا﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن السنة، ما رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي" قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي"<sup>(٤)</sup>.

وحذرنا الله تعالى مخالفة نبيه ﷺ، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) آل عمران/١٠٣

(٢) النساء/١٤٦

(٣) النساء/١٧٥

(٤) البخاري (٧٢٨٠).

(٥) النساء/١١٥

(٦) النور/٦٣

### المفردات

(دِنٌ): فعل أمر من دَانَ يَدِينُ دَيْئًا، والدِّينُ بكسر الدال المشددة: قد يراد به يوم الجزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>، وقد يرادُ به الإسلامُ، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي لفظ الدين نكتة لطيفة ذكرها الأصمعي عن بعض العرب، فقال: إنها فُتِحَ دالُّ الدِّينِ؛ لأن صاحبه يعلو المدين، وضمَّ دالُّ الدُّنيا؛ لابتنائها على الشِّدَّةِ، وكُسِرَ دالُّ الدِّينِ؛ لابتنائه على الخضوع.<sup>(٤)</sup>

(بِكِتَابِ اللَّهِ): وهو القرآن الكريم قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٥)</sup>، وهو الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(٦)</sup>، وهو الذكر: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، وهو الوحي: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾<sup>(٨)</sup>، وهو كلام الله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ

(١) الفاتحة/٤

(٢) المائدة/٣

(٣) آل عمران/٨٥

(٤) القاموس (٥٨١/دين/هامش ٩).

(٥) إبراهيم/١

(٦) الفرقان/١

(٧) الحجر/٩

(٨) النجم/٤

المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴿١﴾، وهو حبل الله ﴿٢﴾، وقد سبق ذكره.

(والسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ): هي أقواله، وأفعاله، وتقريراته ﷺ، فالسنة شقيقة

القرآن.

(تَنْجُ وَتَرْبُحُ): تنج من نجا أي خلص ﴿٣﴾، كأنه يخلص من العذاب أو الوقوع في براثن

الفتن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا﴾ ﴿٤﴾ أي خلص من السجن أو العذاب.

فالنجاة هنا: هي النجاة من العذاب يوم القيامة، ومن شرك الفتن والفرق الضالة، وقد

سمى الله تعالى من نجا من النار فائزاً، وهو الريح العظيم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ

وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ﴿٥﴾، وقد بشر الله تعالى المستمسك بالكتاب والسنة بالفوز المبين

والنجاة من النار، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٦﴾.

### المعنى العام:

بعد ما ذكر المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ سبب الهدى والرشاد والنجاة من الضلال، وهو كتاب الله

تعالى، ذكر السبب الثاني وهو التمسك بالسنة النبوية.

فالعبد لا سبيل له إلى الجنة، إلا بالتمسك بالقرآن والسنة، وترك البدع، فينبغي على كل

موحدٍ موقن بالله رباً أن يوقن بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، فيطيعه في أوامره، وينتهي بنهيهِ،

(١) التوبة/٤

(٢) تفسير الطبري (٣/٣٥٥:٣٥٧).

(٣) القاموس (١٥٨٦/نجو).

(٤) يوسف/٤٥

(٥) آل عمران/١٨٥

(٦) الأحزاب/٧١

ويصدقه في أخباره.

وقد أمرنا الله عز وجل في كتابه العزيز بمتابعتة ﷺ في كل ما به أمر، ومجانبة كل ما عنه زجر، وتصديقه في كل ما أخبر، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

وجعل محبته متوقفة على اتباع هديه ﷺ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد بين النبي ﷺ علاقة السنة بالقرآن، فقد روى الترمذي في سننه، عن المقدم بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ: "أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ عَلَى أَرِيكَتَيْهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنْ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ"<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر الله تعالى جزاء مخالفتة ﷺ، فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وبين تعالى علامات المؤمن من المنافق فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>.

فالمؤمن يحتكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ فيرضى بهما، ولا يجد غضاضة في

(١) الحشر/٧

(٢) آل عمران/٣١

(٣) الترمذي (٢٦٦٤)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني.

(٤) النور/٦٣

(٥) النساء/٦٥

حكم الله وحكم رسوله ﷺ، وإن كان على خلاف هواه.

أما المنافق فقال الله عنه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(١)</sup> فهم يتظاهرون بمتابعة النبي ﷺ وهم أبعد الخلق عنه، إذا جاءهم أمرٌ من الله عز وجل أو من نبيه ﷺ سمعوه وهو يلعبون.

فالكَيْسُ الْفَطْنُ: من رضي بالله ربًّا يعبده، ويتضرع إليه، ويستعين به، ورضي بمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا، يطيعه في أوامره، ويصدقه في أخباره؛ حتى يسعد في الدارين، ويكون ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) النساء/٦٠

(٢) النساء/٦٩

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامٌ مَلِكِنَا

بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَنْفَصَحُوا

### المفردات

(كَلَامٌ مَلِكِنَا): أي: كلام ربنا، والمليك: اسم من أسماء الله الحسنى، ثبت في الكتاب والسنة، أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما السنة: ما رواه الترمذي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قال: "قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَالَ: قُلُهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ"<sup>(٢)</sup>.

والمليك: بمعنى المَلِكِ والمَالِكِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو من صيغة المبالغة فَعِيلٌ، قال الحليمي: وأما مُلْكُ الباري عز اسمه، فهو الذي لا يُتَوَهَّمُ ملكٌ يدانيه، فضلاً عن أن يفوقه.<sup>(٣)</sup> وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: المَلِيكُ: هو المَالِكُ، وبناء فَعِيلٌ للمبالغة في الوصف، ويكون المليك بمعنى المَلِكِ.<sup>(٤)</sup>

(بِذَلِكَ دَانَ): أي: أهل السنة بقولهم: القرآن غير مخلوق.

(الْأَتْقِيَاءُ): جمع تقي، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: والتقي: هو الذي يتقي بصالح عمله،

(١) القمر/٥٥

(٢) الترمذي (٣٣٩٢)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي: ١/١٦٤

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٢٠٤/٤).

وخالص دعائه عذاب الله تعالى<sup>(١)</sup>، وقال الطبري رَحْمَةُ اللَّهِ: التقوى: جعل النفس في وقاية مما يُخاف، ويقال: اتقى فلان بكذا: إذا جعله وقاية لنفسه، وفي الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحذور، قال رسول الله ﷺ: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"<sup>(٢)</sup>، وقال: هم الذين اتقوا الله تبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه، فتجنبوا معاصيه، واتقوه فيما أمرهم به من فرائضه، فأطاعوه بأدائها.<sup>(٣)</sup>

(وَأَفْصَحُوا): الْفَصْحُ وَالْفَصَاحَةُ: الْبَيَانُ، وَفَصَحَ الصُّبْحُ: بَانَ لَكَ<sup>(٤)</sup> وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾<sup>(٥)</sup>، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحْمَةُ اللَّهِ: وَالْفَصِيحُ: الْمُنْطَلِقُ الْلسَانُ فِي الْقَوْلِ، الَّذِي يَعْرِفُ جَيِّدَ الْكَلَامِ مِنْ رَدِيئِهِ.<sup>(٦)</sup>

فالسلف رَحْمَةُ اللَّهِ أظهروا وبينوا مقاتلهم بأوضح بيان: بأن القرآن كلام الله.

### المعنى العام:

من الإيمان بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ؛ الإيَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup>، وَقَالَ: ﴿أَفْتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾<sup>(٨)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى

(١) تفسير القرطبي (١/١٦٢).

(٢) البخاري (١٤١٧).

(٣) تفسير الطبري (١/١٨٩).

(٤) القاموس (١٢٤٨/فصح).

(٥) القصص/٣٤

(٦) لسان العرب (٢/٥٤٤/فصح).

(٧) التوبة/٦

(٨) البقرة/٧٥



تَكْلِيًا<sup>(١)</sup>، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وقد أجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا، وإنما هو على الحقيقة.<sup>(٢)</sup>

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتكلم كلامًا حقيقًا لا مجاز فيه.

ومن السنة: ما جاء في الصحيحين، حديثُ الحاجة بين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذي فيه: "فَقَالَ لَهُ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ"<sup>(٣)</sup>.

وما رواه الترمذي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: "يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا يَتَّبِعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ..."<sup>(٤)</sup>.

وقد أجمع السلف على أن الله تعالى يتكلم بصوت، وحرف، كلامًا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

فدليل الكلام: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيًا﴾<sup>(٥)</sup>.

ودليل الصوت: ما رواه البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يُحْشِرُ اللهُ الْعِبَادَ - أَوِ النَّاسَ - عُرَاةَ غُرْلًا بِيَهُمَا"، قلت: ما بهما؟ قال: "لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ - أَحْسَبُهُ قَالَ: كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبَ -: أَنَا الْمَلِكُ.... الحديث"<sup>(٦)</sup>.

(١) النساء/١٦٤

(٢) تفسير القرطبي (١/٢٣٩).

(٣) البخاري (٣٤٠٩)، مسلم (٢٦٥٢).

(٤) الترمذي (٢٥٥٧).

(٥) النساء/١٦٤

(٦) البخاري (الأدب المفرد/٩٧٠)، وحسنه الألباني.

ودليل الحرف: ما رواه الترمذي، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ" (١)

وقد نقل الإمام اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ الإجماع على أن القرآن كلام الله غير مخلوق عن جملة كثيرة من الصحابة والتابعين وتابعيهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ. (٢)

وقال أبو نصر السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ: الإجماع منعقد على كون الكلام حرف وصوت (٣)، وقال في موضع آخر: لا خلاف بين المسلمين أجمع؛ في أن القرآن كلام الله عز وجل. (٤)  
فقد تبين أن القول بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى؛ هو كلام الأتقياء من السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، لم يداروه، ولم يباروا فيه.

وقول الإمام أبي بكر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامٌ مَلِيكِنَا) قد يفهم منه بمفهوم المخالفة أن كلامه خالق، لأن الوجود: إما خالق، أو مخلوق، فالله تعالى هو الخالق ومن دونه مخلوق مربوب مصنوع، فهل قولنا: القرآن غير مخلوق تعنى أنه خالق؟

والجواب: قال ابن كيسان (٥) رَحِمَهُ اللَّهُ: أقول: إن الله أمر وهو الخالق، وأقول: إن العبد مأمور وهو مخلوق، وأقول: إن القرآن أمره لا خالق ولا مخلوق، ثم قال: هذا مذهب العلماء

(١) الترمذي (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني

(٢) شرح أصول أهل السنة والجماعة (٢/٣٦٦:٤٧٢).

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (٨٢).

(٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٠٥).

(٥) محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي، كان مذكورًا بالعلم وموصوفًا بالفهم، مات سنة ٢٩٩ هـ.

أهل الإسلام، وهو مذهب أحمد بن حنبل، وثعلب، وأصحاب الحديث.<sup>(١)</sup>

وعن معاوية بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد عن القرآن؟

فقال: ليس بخالق ولا مخلوق.<sup>(٢)</sup>

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٦/٢٩٢).

(٢) خلق أفعال العباد (٢٠).

### المفردات

(وَلَا تُكُ فِي الْقُرْآنِ): أي: لا تكن أيها المسلم بعد قولك: القرآن كلام الله غير مخلوق ممن يقولون ويعتقدون في كتاب الله تعالى غير ذلك، وهذه نصيحة متضمنة التحذير، وذكر الإمام المُحَدِّثُ منه فقال:

(بِالْوَقْفِ قَائِلًا): أي لا تكن قائلًا في القرآن بالوقف، والوقف هو قول القائل: القرآن كلام الله ويقف، قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللهُ: إنما تقول الواقعة: إن القرآن كلام الله، ولا تقول مخلوق، ولا غير مخلوق. (١)

(أَتْبَاعُ الْجَهْمِ): أي من سار على دربه، وقال بقوله، و(جَهْمٌ) هو الجهم بن صفوان، إليه تنسب فرقة الجهمية، وكان يقول: القرآن مخلوق، واستدل على مقالته بشبهات عقلية، وبمتشابهات من القرآن الكريم، وقد سلط الله عز وجل عليه الأمير سلم بن أحوز، فقتله بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك.

فكل من تابعه، أو قال بمقالته، وإن لم يتلمذ عليه أو يعاصره نُسِبَ إليه، فالعلماء يقولون على جموع المعطلة الذين عطلوا، ونفوا صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: جهمية، لأن الجهم هو أول من أظهر مقالة التعطيل، وأصل لها.

وقد سبق جهم في تعطيل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الصفات شيخه الجعد بن درهم، لكنه لم يكن مؤصلًا لتلك البدعة، ولا منظرًا لها، فإن أول من عُرف عنه التنظير في هذه المسائل الجهم بن صفوان، وقد ذكر إحداها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في (الرد على الجهمية).

(١) نقض الدارمي (٢١١).

(وَأَسْجَحُوا): أصلها سَجَحَ، والإِسْجَاحُ: حسن العفو<sup>(١)</sup>، وسجج بالكلام عَرَّضَ به، قال الفيروزآبادي: سَجَّحَتِ الحِمامَةُ: سَجَّعت، وله بكلام - أي سَجَّحْتُ له بكلام -: عَرَّضَ<sup>(٢)</sup>، قال ابن منظور: وفي النوادر يقال: سَجَّحْتُ له بشيء من الكلام، وَسَرَّحْتُ، وَسَجَّحْتُ، وَسَرَّحْتُ، وَسَنَّحْتُ، وَسَنَّحْتُ: إذا كان كلام فيه تعريض بمعنى من المعاني.<sup>(٣)</sup>

والمعنى الثاني هو المراد هنا، أي: هؤلاء الجهمية هربوا من التصريح بالقول بخلق القرآن إلى التعريض به، فقالوا: القرآن كلام الله وسكتوا، فما قالوا: مخلوق، أو غير مخلوق.

### المعنى العام:

بعد أن حذر الإمام رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ قول الجهمية الكفار: القرآن مخلوق، ودعانا إلى الاعتقاد بأن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق، بل هو صفة من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو كلامه، ومن علمه، حذرنا أيضًا هؤلاء الواقفة، الذين استتروا بالوقف ليموهوا على الناس دينهم، وَيُنْفِدُوا فِيهِمْ مَعْتَقَدَهُمْ بَخَلْقِ الْقُرْآنِ، وقد جَهَّمَهُمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحْمَةُ اللَّهِ، فقال فيهم: هم شرٌّ من الجهمية، استتروا بالوقف.<sup>(٤)</sup>

والسبب في تجهيم الواقفة، أنهم لما شكوا في القرآن: أهو من صفات الله تعالى أم مخلوق؛ توقفوا، والشك في الله كفر، قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقد يسأل سائل: نحن اليوم نقول: القرآن كلام الله ونقف، هل نحن بهذا القول

(١) الصحاح (٥١٨/سجج).

(٢) القاموس (٧٥٦/سجج).

(٣) لسان العرب (٤٧٥/٢/سجج).

(٤) السنة للخلال (٢٠٤/٢).

(٥) إبراهيم/١٠

جهمية؟

والجواب: لا، ويزيدك بياناً ووضوحاً، ما ذكره حنبل<sup>(١)</sup> عن الإمام أحمد حيث قال: كنا نأمر بالسكوت، ونترك الخوض في الكلام وفي القرآن، فلما دعينا إلى أمر ما كان، بدا لنا من أن ندفع ذلك، ونبين في أمره ما ينبغي.

قلت: فمن وقف، فقال: لا أقول مخلوق، ولا غير مخلوق؟

فقال: كلام سوء، هو ذا موضع السوء وقوفه، كيف لا يعلم؟ إما حلالاً وإما حراماً، إما هكذا وإما هكذا، قد نزه الله عز وجل القرآن عن أن يكون مخلوقاً، وإنما يرجعون هؤلاء إلى أن يقولوا: إنه مخلوق فاستحسنوا لأنفسهم فأظهروا الوقف.<sup>(٢)</sup>

هذا كان في زمان الفتنة، أما في أزماننا، وقد منَّ الله علينا بنشر السنة بين الناس، واندهار مثل هذه المسائل بين عامة المسلمين، فليس هناك داعٍ إلى أن يقول القائل: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ إلا إذا كان من باب التعليم، والله أعلم.

---

(١) وهو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، الإمام، الحافظ، المحدث، الصدوق، أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه، توفي سنة (٢٧٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ.  
(٢) السنة للخلال (٢/٢٠٦).

فإنَّ كَلامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

ولا تَقُلُ: (ولا تَقُلُ): أي: لا تقبل معتقداً ما تقول.

### المفردات

(ولا تَقُلُ): أي: لا تقبل معتقداً ما تقول.

(القرآنُ خَلَقًا قَرَأْتَهُ): أي: ما أقرأه من كتاب الله عز وجل وأتلوه مخلوقاً، وهذه تُسمى

مسألة اللفظ، وسوف أوضحها بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

(باللفظِ يُوَضَّحُ): أي: يظهر، ويُعرف، ويُميز به بين أنواع الكلام، سواءً كان لفظ القرآن،

أو لفظ النبي ﷺ، أو لفظ شاعر من الشعراء، فالألفاظ واضحة الفروق.

### المعنى العام:

يعود الإمام رَحِمَهُ اللهُ مجدداً في النصح، منبهاً ومحذراً كلام الجهمية واتباع أساليبهم

الملتوية، فلما كانوا في بادئ الأمر يصرحون بخلق القرآن، وأنه مضاف إلى الله كإضافة الناقة

إليه، فلا فرق عندهم بين بيت الله وكلام الله، فكلُّ من باب إضافة المخلوق للخالق؛ قَيِّضَ

اللهُ تعالى من عباده من يرد بدعتهم، ويفرق بين إضافة الصفات وإضافة المخلوقات للخالق.

فلما أن أشرقت شمس السنة، وبدأت شمس البدعة أن تغرب، تذرعوها بالقول بالوقف،

فقيض الله لهم أيضاً من يرد كيدهم، فكادوا مكيدة أخرى، وهي القول باللفظ، فقالوا:

ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وإنما أرادوا أن يقولوا: القرآن مخلوق بحجة أن القول فعل العبد وهو

مخلوق.

والعلماء رَحِمَهُمُ اللهُ يفرقون بين اللفظ والمفوظ، والقراءة والمقروء، والتلاوة والمتلو،

والكتابة والمكتوب، والحفظ والمحفوظ، فاللفظ الذي هو فعل العبد مخلوق، والمفوظ كلام

الله، والتلاوة التي هي فعل العبد مخلوقة، والمتلو كلام الله، والقراءة التي هي فعل العبد

مخلوقة، والمقروء كلام الله، والكتابة التي هي حركة اليد مخلوقة والحبر واللوح والورق

مخلوق، والمكتوب كلام الله، والحفظ الذي هو فعل العبد مخلوق، والمحفوظ كلام الله.

وقد ذكر الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللهُ**: أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو مبتدع، ومن قال غير مخلوق؛ فهو مبتدع<sup>(١)</sup>، لأن العبارة مجملة لا بد من التفصيل فيها.

وإنما وقع الإشكال من المصدر (اللفظ): وهو من لَفَظَ يَلْفَظُ لَفْظًا، فاللفظ اسم مصدر يراد به الفعل أو المفعول (أي: لفظُ القارئ أو الملفوظ به)، فلو قلت لأحدٍ يقرأ القرآن: هذه لفظة خطأ واللفظة الصحيحة كذا، فأنت تريد بقولك: (لفظة) القرآن الكريم.

وكذلك لو قلت له: أنت لفظك خطأ، إنما مخرج التاء غير مخرج الضاد، فأنت تريد لفظه: الذي هو فعله بلسانه مع أسنانه.

ومنه اسم المصدر (القرآن): من قَرَأَ يَقْرَأُ قُرْآنًا، واسم المصدر من قرأنا (القرآن)، فالقرآن قد يراد به المفعول المقروء، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد يراد به فعل العبد نفسه الذي هو القراءة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق وأراد به فعله، فصحيح، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق وأراد به الملفوظ المتلو المنطوق فهم جهمي.

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢/٥٠١:٥٠٧).

(٢) يوسف/٢

(٣) الإسراء/٧٨



كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً

### المفردات

(يَتَجَلَّى اللَّهُ): التجلي معناه: الظهور للعيان<sup>(١)</sup>، وتَجَلَّى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظهوره للعيان، فتراه الأبصار رؤية لا لبس فيها.

(جَهْرَةً): عياناً غير مستتر<sup>(٢)</sup>، ومنه قوله تعالى حاكياً عن بني إسرائيل: ﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾<sup>(٣)</sup>.

(كَمَا الْبَدْرُ): الكاف للتشبيه، والمراد تشبيه رؤية أهل الجنة لله عز وجل بسهولة ويسر، كرؤيتهم للبدر بسهولة ويسر.

### المعنى العام:

انتقل الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ من الكلام عن القرآن وصفة الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلى الكلام عن رؤية الله تعالى بالأبصار عياناً.

يقول الإمام: وقل يا عبد الله معتقداً من قلبك: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرَى بالأبصار يوم القيامة بسهولة ويسر، كما ترى القمر ليلة البدر في السماء ليس دونه سحاب بسهولة ويسر، بل رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيسر من ذلك.

والرؤية: هي النعيم الأكبر، فأفضل ما في الجنة: رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولن ينال هذه الكرامة والمنة إلا المحسنون، الذين صدقوا وعملوا الصالحات.

(١) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف (٥٢).

(٢) القاموس (٣٠٤/جهر).

(٣) النساء/١٥٣

وقد ثبتت رؤية الله سبحانه وتعالى في الكتاب، والسنة، والإجماع.

قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾<sup>(٢)</sup> فلما حجب الكفار؛ دل ذلك على أن المؤمنين يرونه سبحانه وتعالى.

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> وقد فسر النبي ﷺ الزيادة هنا بالرؤية<sup>(٤)</sup>.

ومن السنة: ما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: "هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ"<sup>(٥)</sup>.

وما جاء فيها أيضاً، عن عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "جَنَّاتٍ مِنْ فَضَّةٍ أُنْبِتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنْبِتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءٌ الْكَبِيرَ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ"<sup>(٦)</sup>.

وما رواه البخاري في صحيحه، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ

(١) القيامة/٢٢:٢٣

(٢) المطففين/١٦

(٣) يونس/٢٦

(٤) الترمذي (٣١٠٥).

(٥) البخاري (٧٤٧٣)، مسلم (٢٩٩/١٨٢).

(٦) البخاري (٤٨٧٨)، مسلم (٢٩٦/١٨٠).

رَبِّكُمْ عِيَانًا" (١).

ومن الإجماع: قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ. (٢)

وقال الدارمي رَحِمَهُ اللهُ: فهذه الأحاديث كلها، وأكثر منها؛ قد رويت في الرؤية على تصديقها، والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها، ويؤمنون بها، لا يستنكرونها، ولا ينكرونها، ومن أنكروها من أهل الزيغ؛ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم، وأجزل ثواب الله في أنفسهم؛ النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئا من نعيم الجنة. (٣)

وقول الإمام: (يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً) كما روى مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: "نَجِيءٌ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... فَتُدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ... (٤) الحديث.

وتشبيهه الإمام رَحِمَهُ اللهُ رؤية الله برؤية القمر، إنما مراده سهولة الرؤية، وليس تشبيه القمر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تشبيه المثل بالمثل، ومثاله ما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

(١) البخاري (٧٤٣٥).

(٢) صريح السنة (١٤).

(٣) الرد على الجهمية (١٠٣).

(٤) مسلم (٣١٦/١٩١).

قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ" (١) فلا يفهم منه: أن المؤمنين يدخلون الجنة وجوههم كحجارة مستديرة، ولكن المراد: وجوههم مضيئة كالقمر. والله أعلم.

---

(١) البخاري (٣٣٢٧)، (٢٨٣٤).

وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحِ

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ

## المفردات

(وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ): أي ليس لله تعالى مثل، والعلماء يطلقون التشبيه ويريدون به التمثيل، والتحقيق: أن المشابهة غير المماثلة.

فالمماثلة: تقتضي التساوي في كل شيء، ولذلك نفي الله عز وجل عن نفسه مماثلة خلقه، ولم ينف مشابهم به تعالى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup>، والعلاقة بين التشبيه والتمثيل علاقة عموم وخصوص، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل.

ثم اعلم رحمك الله: أن المشابهة المنفية في حق الله تعالى غير المشابهة المثبتة بين العبد وربّه، فالمشابهة المنفية: هي التي بمعنى التمثيل، فالله خالق والعبد مخلوق، والله تعالى ليس كمثل شيء.

أما وجه التشابه بين العبد والرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: هو أن العبد له ذات، والرب له ذات، العبد يوصف بالصفات، والرب يوصف بالصفات، وقد قرّر شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** مواضع عديدة من كتبه: أن كل شيئين بينهما قدر مشترك، وقدر فارق، فهذا القدر المشترك هو وجه التشابه المراد هنا، وهو جواز إطلاق لفظ الاسم والصفة على الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وعلى العبد.

يقول إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة **رَحْمَةُ اللَّهِ** مؤكدا هذا المعنى: فتفهموا يا ذوي الحجما ما بينت في هذا الفصل، تعلموا وتستيقنوا: أن لخالقنا عز وجل أسام، قد تقع تلك الأسامي على بعض خلقه في اللفظ، لا على المعنى، على ما قد بينت في هذا الفصل من

(١) الشورى/١١

الكتاب، والسنة، ولغة العرب. (١).

فوجه التشابه بين العبد والرب: هو جواز إطلاق لفظ الصفة على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وعلى العبد، مثل السمع والبصر، فالله هو السميع البصير، والعبد سميع بصير، الله هو العزيز، وحاكم مصر العزيز... الخ من الأسماء والصفات.

أما القدر الفارق، فلا تشابه فيه ألبته بين العبد وربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وللكلام تنمة في (الشرح الكبير) إن شاء الله تعالى.

(المسيح): وهو الله تعالى، ومن أسمائه **السُّبُوح**، فقد روى مسلم في صحيحه، عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، أن النبي **ﷺ** يقول في ركوعه وسجوده: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" (٢)، والتسبيح: التنزيه، فقولنا: **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: أي تنزيه الله تعالى عن كل نقصٍ وعب.

### المعنى العام:

نفى الإمام **رَحِمَهُ اللَّهُ** في هذا الشطر من المنظومة الولد عن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فالله تعالى هو الغني، ومن تمام غناه؛ استغنائه عن الولد، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾ (٣)، فالذي يتمنى الولد ليحمل اسمه، ويتفاخر به بين الناس هو الفقير، وقال تعالى

وقال تعالى موضحًا هذا المعنى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

(١) التوحيد (٩٦).

(٢) مسلم (٤٧٨).

(٣) البقرة/١١٦

وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾، فالغني المطلق هو الله تعالى، ومن تمام غناه: تفرده ووتريته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ونسبة الولد إليه، نقص في كمال غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ

يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٢)، وروى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ، قال:

قال الله: "كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ:

لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ

وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ" (٣).

---

(١) يونس/٦٨

(٢) مريم/٩٢

(٣) البخاري (٤٩٧٤).

بِمُضَدِّاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحٌ  
فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِحُ

وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا  
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ

## المفردات

(الْجَهْمِيُّ): الألف واللام هنا للجنس لا للعهد، أي كل معطل للصفات، فلفظ الجهمي صار يطلق على من نفى الصفات كلها، أو بعضها، كالمعتزلة، والكلائية، والأشاعرة، والماتريدية... الخ.

(هَذَا): اسم إشارة للقريب، يقصد به كل ما مر من مباحث الاعتقاد من إثبات صفة الكلام والرؤية، والمراد هنا مسألة الرؤية.

(عِنْدَنَا): أي عند أهل السنة والجماعة.

(بِمُضَدِّاقٍ): أي بموافقة ومواطفة، أو يصدقه ويشهد له.

(رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ): هو جرير بن عبد الله البجلي الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أسلم بعد نزول سورة المائدة، وروى حديث المسح على الخفين.

والحديث الذي رواه جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو ما جاء في الصحيحين، عنه، أنه قال: كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة يعنى البدر، فقال: "أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ أَوْ لَا تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾" (١).

(فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ): أي: قل أيها المسلم معتقداً بما تقول مثل ما قال رسول الله ﷺ.

(١) البخاري (٥٧٣)، مسلم (٦٣٣/٢١١).



(في ذاك تَنجَحُ): أي في مسألة الرؤية، فالحديث في غاية الوضوح والبيان، فإنك إن قلت معتقدًا ذلك؛ كنت من الناجحين الفائزين.

### المعنى العام:

أراد الإمام رَحِمَهُ اللهُ أن يوقفنا على مقالة المخالفين لأهل السنة والجماعة في الرؤية، فإن الجهمية بجميع طوائفها تنكر رؤية الرب عز وجل في الآخرة، وذلك لشبهات عقلية، ولسوء فهمهم لآيات القرآن الكريم المتشابهة، فكل من أنكر رؤية الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الآخرة فهو جهمي.

وَكَلَّمَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِينَهُ

### المفردات

(يُنَكِّرُ): من نَكَرَ: وهو عدم العرفان، قال الراغب رَحْمَةُ اللَّهِ: أصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره وهذا ضرب من الجهل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>، وُنَكِّرُ الجهمي للحق، جهلٌ واستكبارٌ.

(يَمِينُهُ): أي يمين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله تعالى يوصف باليدين، وباليمين، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(وَكَلَّمَا يَدَيْهِ): أي يدي الرب عز وجل، فالله تعالى أخبرنا في كتابه أن له يدين، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي﴾<sup>(٤)</sup>.

(بالفواضِلِ تَنْفَحُ): الفواضل جمع فاضل، وهو الشيء الطيب الكريم، و(تَنْفَحُ) من النفح، قال الراغب رَحْمَةُ اللَّهِ: والنفح بالمهملة قد يراد به عطاء الخير أو الشر<sup>(٥)</sup>، وقيد هنا النفح بالفواضل، فهي نفحات خير والحمد لله رب العالمين.

### المعنى العام:

من عقيدة أهل السنة والجماعة تصديق الله عز وجل ونبيه ﷺ في الأخبار، وطاعة الله

(١) هود/٧٠

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٦٣٨/نكر).

(٣) الزمر/٦٧

(٤) ص/٧٥

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٦٣٢/نفح).

عز وجل ونبيه ﷺ في الأوامر، وهذه أبسط وأهم سمات أهل الحق، فكل خبر من الله ورسوله صدق، وكل أمر من الله ورسوله حق، قال الله تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾<sup>(١)</sup>، أي صدقًا في الأخبار عدلًا في الأحكام.

فقد أخبرنا سبحانه وتعالى: أن له يداً، ويدين، وأيدي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> فأثبت هنا أن له يد واحدة.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فأثبت هنا أن له أيدي كثيرة.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي﴾<sup>(٤)</sup> فأثبت سبحانه وتعالى هنا اثنين فقط.

وأهل العلم مجمعون على أن لله تعالى يدين لا نعلم كيفيتهما، ولسنا مطالبين بمعرفة كيفيتهما، وأن قوله في الآية الأولى: أن له يداً محمولٌ على أنها مضافة فتفيد الجمع، وأن قوله تعالى في الآية الثانية: أن له أيدي كثيرة، محمول على التعظيم، كقوله تعالى في غير آية ﴿إِنَّا﴾ وإنما أراد سبحانه وتعالى نفسه.

ووصف الله عز وجل نفسه بأن له يداً يمينى، فقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الأنعام/ ١١٥

(٢) الفتح/ ١٠

(٣) يس/ ٧١

(٤) ص/ ٧٥

(٥) الزمر/ ٦٧

ووصفه النبي ﷺ وهو أعلم الخلق بربه؛ أن له يدين كلتاها يمين، فقد روى الترمذي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمَدَ اللهُ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أَوْلَائِكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَائِمٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ، بَيْنَهُمْ، فَقَالَ اللهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْتِ أَيَّهَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكَلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ثُمَّ بَسَطَهَا فِإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ... (١) الحديث.

وقد اختلف أهل العلم في معنى الحديث، وهل يوصف الله بالشمال أم لا، ولولا أنني اشتطت على نفسي الاختصار، لبسطت في المسألة بحول الله بما يشفي صدور قوم مؤمنين، وسأذكر بإذن الله تعالى أقوال أهل العلم في هذه المسألة في (الشرح الكبير).

والخلاصة أننا نؤمن بأن الله تعالى له يداً لا كأيدي المخلوقين، وأن له يدين يمينين على ما ورد في الحديث، وأنها مباركتان فاضلتان، تنفحان بالجود والخير والفضل، ومن شبهه تعالى بالمخلوقات فقد كفر، كالجهمية الملاحين، الذين ينكرون صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، توهمًا منهم أن هذا يقتضي تشبيه الرب تعالى بالمخلوقات، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له المثل الأعلى، والأكمل، والأجمل، والأقدس، وليس له مثل، ولا كفو، ولا ند، ولا سمي له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن أنكر ذلك كان فهو مُكذَّبٌ برسول الله ﷺ.

قال إمام أهل السنة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (طبقات الحنابلة: ١/٣١٣): صح الخبر عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: "وَكَلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ"، الإيذان بذلك، فمن لم يؤمن بذلك، ويعلم أن ذلك حق، كما قال رسول الله ﷺ؛ فهو مُكذَّبٌ برسول الله ﷺ.

(١) الترمذي (٣٣٦٨)، وقال الألباني: حسن صحيح.

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ  
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ  
يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْتَقِ غَافِرًا

بِلا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ  
فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ  
وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَأَمْنَحُ

## المفردات

(الجبَّارُ): من الجبر وفيه معنيان: الأول: معنى القهر، والعزة، والقوة، وهو جبر العباد على ما أراد، كما قال قتادة<sup>(١)</sup>، والثاني: معنى الرحمة، والرفق، والمودة، وهو جبر العباد، بأن يشفي المريض، ويعفو عن المسيء، ويغني الفقير، ويكسي العاري، ويجبر الكسير، فكل هذا من جبره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**<sup>(٢)</sup>.

وذكر البيهقي، عن الحلبي بعد أن ذكر معنيي الجبار قال: وقد قيل في معنى الجبار غير هذا، فمن الحقه بهذا الباب - باب القهر والقوة - لم يميزه عن الإبداع، وجعل الاعتراف له بأنه بديع له بأنه جبار<sup>(٣)</sup>، وكلا المعنيين حسنٌ في حق الله تعالى.

(بِلا كَيْفَ): أي من غير كيفية معينة محددة لصفات الله تعالى نعلمها، والتكييف والتمثيل يؤكد أحدهما الآخر، وبينهما فرق طفيف، فالتمثيل: هو أن يكون ما تمثله له صورة في الذهن والخارج، كأن تقول: يد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كيدي، ووجه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كوجهي، وهذا قول الممثلة، أما التكييف: فهو أن يكون ما تشبهه له كيفية في الذهن وليست في الخارج، كأن تقول: يد الله كذا وكذا، ووجه الله كذا وكذا، واستواء الله بكيفية كذا وكذا، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) تفسير الطبري (٧٥٨/١٠).

(٢) نقلاً من أسماء الله الحسنى لابن القيم (٢٩٠).

(٣) الأسماء والصفات (١٦٨/١: ١٦٩).

(جَلُّ): الجلالة: عِظْمُ القدر، والجلال بغير الهاء: التناهي في ذلك، وخصَّ بوصف الله تعالى فقيل: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(١)</sup>، ولم يستعمل في غيره، والجليل: العظيم القدر<sup>(٢)</sup>، فجَلَّ: أي تعظَّم جدًّا عن أن يوصف بغير الكمال والجلال، والجلال: وصفٌ لله تعالى.

(الواحدُ المتمدِّحُ): الواحد: اسم من أسماء الله، قال تعالى حاكيا مقالة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَمَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٣)</sup>.

(التمدِّحُ) في حق البشر: الطالب من الغير أن يمدحه، فيكون فقرا إليهم، أما في حق الله تعالى: فهو أمر وليس طلب، فالله عز وجل لا يطلب من عبده بل يأمرهم عز وجل، فالله يتمدح عباده بأن يذكروه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأن يحمده ويسبحوه، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>.

(طبَّقِ الدُّنْيَا): الطَّباق في الشيء: الذي يكون فوق الآخر تارة، وفيما يوافق غيره تارة<sup>(٥)</sup>، فمن الأول قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾<sup>(٦)</sup> أي بعضها فوق بعض، ومن الثاني قول المحدثين: فلانٌ من طبقة فلانٍ أي موافق له في العمر أو العصر، وطبق الدنيا أي درجتها في الطباق السبع.

(يَمُنُّ): منَّ يمنٌ منَّا، والمنة: النعمة الثقيلة، ويقال: ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون

(١) الرحمن/٢٧

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (١٢٦/جل).

(٣) يوسف/٣٩

(٤) مريم/١١

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٣٨٥/طبِق).

(٦) الملك/٣

ذلك بالفعل، فيقال: مَنْ فلان على فلان؛ إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>... والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح بين الناس إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة<sup>(٢)</sup>.

والمنان اسم من أسماء الله تعالى، روى الترمذي، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دخل النبي ﷺ المسجد، ورجل قد صلى، وهو يدعو ويقول في دعائه: اللهم لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: "أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ"<sup>(٣)</sup>.

(فَتَفْرُجُ): الفُرْجَة: الشق بين الشيئين، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾<sup>(٤)</sup> أي ما لها من شقوق وفتوق، و ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾<sup>(٥)</sup> أي انشقت، والفَرَجُ: انكشاف الغم، يقال فَرَجَ اللهُ عَنْكَ<sup>(٦)</sup>.

(يَقُولُ): القائل هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والقول: كلام، والله عز وجل يتكلم بما شاء، وقتما شاء، كيفما شاء.

(أَلَا): أداة تفيده التنبيه والتأكيد<sup>(٧)</sup>.

(١) آل عمران/١٦٤

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٦٠٠/منن).

(٣) الترمذي (٣٥٤٤)، وصححه الألباني.

(٤) ق/٦

(٥) المرسلات/٩

(٦) مفردات ألفاظ القرآن (٤٧٥/فرج).

(٧) تفسير القرآن الكريم للشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (١/٤٧).

(مُسْتَغْفِرٌ يَلْتَقِ غَافِرًا): أي: سائل المغفرة يلقي غافرًا، والمغفرة من الله: هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار: طلب ذلك بالمقال والفعال<sup>(١)</sup>.

(غَافِرًا): الغافر اسم من أسماء الله تعالى المقيدة، قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(وَمُسْتَمْنِحٌ): المنحة: العطية، والاستمناح: طلب العطية، قال الجوهري: استمنحه: طلبه منحته<sup>(٣)</sup>.

(خَيْرًا وَرِزْقًا): الخير عام والرزق خاص، وقد أفرد الإمام الرزق لأهميته، ولشدة جزع العبد من نقصه، والإنسان أجله معلق برزقه، فمتى انقطع الرزق انقضى الأجل، والله هو الرزاق، وهو المحيي المميت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

### المعنى العام:

من الإيذان بالأسماء والصفات، الإيذان بأن الله عز وجل يفعل ما يشاء، ومن أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ينادي ويقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ إلى أن يبرغ الفجر، على وفق ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب، فقال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>(٤)</sup> قال إسحاق بن راهوية رَحِمَهُ اللَّهُ الذي يجيء يوم

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٤٦٠/غفر).

(٢) غافر/٣

(٣) الصحاح (١٠٩٩/منح).

(٤) البقرة/٢١٠



القيامة من يمنعه اليوم؟<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>(٢)</sup>، فقد ثبت في الكتاب أن الله تعالى يجيء ويأتي، ولم يرد لفظ النزول في القرآن الكريم مضافاً إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولكن ورد في السنة المشرفة.

وأحاديث النزول في غاية التواتر، وقد صنف الإمام الدارقطني **رَحِمَهُ اللهُ** في صفة النزول مصنفًا حديثيًا، روى فيه عن ثمانية عشر صحابي وهم: علي بن أبي طالب، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وعقبة بن عامر الجهني، وعمرو بن عبسة، ورفاعة بن عرابة الجهني، وعثمان بن أبي العاص، وأبي الدرداء، وسلمة جدُّ عبد الحميد بن سلمة، وأبي بكر الصديق، ومعاذ بن جبل، وأبي ثعلبة الخشني، وكثير بن مرة الحضرمي، وأبي موسى الأشعري، وأم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم سلمة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ** أجمعين.

فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **ﷺ**: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"<sup>(٣)</sup>، وفي لفظ: "هَلْ مِنْ مُضْطَرٍ أَكْشِفُ عَنْهُ ضُرَّهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغِيثٍ أُغِيثُ؟"<sup>(٤)</sup>.

وقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على ثبوت صفة النزول لله تعالى.

قال الدارمي **رَحِمَهُ اللهُ**: فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك

(١) شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث بشرحي (١٤٧).

(٢) الفجر/ ٢٢

(٣) كتاب الرؤية للدارقطني (١٥٧).

(٤) كتاب الرؤية للدارقطني (١٩٧)، وإسناده فيه لين، قاله محققه.

وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها؛ أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها. (١)

وقال الصابوني **رَحْمَةُ اللَّهِ**: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف؛ بل يثبتون ما أثبتته رسول الله **ﷺ**، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره. (٢)

---

(١) الرد على الجهمية (٧٩).

(٢) شرح عقيدة السلف للصابوني/١٣٦

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ

أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبُّوْا

## المفردات

(ذَاكَ): أي: الأحاديث التي وردت في صفة نزول الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(خَابَ): أي: خسر وهلك.

(وَقُبُّوْا): قال الراغب **رَحِمَهُ اللهُ**: القبح: ما ينبو عنه البصر من الأعيان، وما تنبو عنه

النفس من الأعمال. (١)

## المعنى العام:

إن حديث النزول حديث متواتر لا خلاف فيه، وأهل السنة والجماعة لا فرق عندهم بين الحديث الصحيح إن رواه ألف راوٍ، أو رواه راوٍ واحد، فالعبرة عندهم بالصحة والضعف، أما المبتدعة فيشترطون كثرة الرواة للحديث الواحد، وهو ما يسمونه بالتواتر؛ لقبوله في أبواب الاعتقاد، والعجب أن صفة النزول دلت عليها الأحاديث المتواترة، وهم يردونها بحجج واهية.

فيقول الإمام: إن هذه الأحاديث الكثيرة: دلت بما يقطع الشك أن الله تعالى فعَّالٌ لما يريد، وأنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ينزل، ويأتي، ويجيء، بكيفية لا يعلمها إلا هو، فمن كذَّب بهذه الآيات وجحدتها، فإنما كذَّب الله وكذَّب رسوله **ﷺ**، فحريٌّ بمثل هذا أن يخسر دنياه وآخرته، فاستحق اللعن والقبح، والله أعلم.

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٤٩٥/قبح).

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ  
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ

وَزِيرَاهُ قَدْ مَاتَ عُمَانُ أَرْجَحُ  
عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

## المفردات

(وَزِيرَاهُ): وهما أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال المزي رَحِمَهُ اللَّهُ: ويقال بفضل خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو أفضل الخلق، وَأَخَيْرُهُمْ بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَثَنِيَّ بعده بالفاروق وهو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهما وزيرا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضحجعا في القبر. (١)

(قُدْمًا): من المقدمة وهي أول كل شيء، فأبو بكر وعمر أول الصحابة حَبًّا ومكانة ورفعة.

(أَرْجَحُ): أي: على الراجح.

(البرية): الخلق. (٢)

(حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ): وهو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أي: الخير معه أينما كان، لحب الله عز وجل له ولحبه لله تعالى كما ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الراية: "لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" (٣) فأصبح الناس وأخذها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو خير ويسعى في الخير ويمضي الله على يديه الخير.

(١) شرح السنة (٨٦).

(٢) الصحاح (٨٣/برأ).

(٣) البخاري (٣٠٠٩).

## المعنى العام:

انتقل الإمام رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى ذكر عقيدة السلف رَحْمَهُمُ اللَّهُ فِي الصحابة، فقد أجمعت الأمة غير أنجاسها وأرجاسها الشيعة على تفضيل الصحابة جميعًا، والترضي عليهم، وعدم ذكرهم إلا بالخير، وغض الطرف عما كان بينهم، فهم بشر.

وقد زكاهم الله تعالى في كتابه، وزكاهم رسوله ﷺ في سنته، وأجمع السلف على سبق فضلهم ومكانتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَمْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ

(١) الحشر/٨:٩

(٢) البقرة/١٣٧

(٣) الفتح/١٨

لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾

ومن السنة: ما رواه ابن حبان في صحيحه، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال

رسول الله ﷺ: "المُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (٣).

وعند مسلم، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ،

وَلِلْأَنْبَاءِ الْأَنْصَارِ، وَلِلْأَنْبَاءِ الْأَنْصَارِ" (٤).

وقد أجمعت الأمة على أن أفضلهم بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر

الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: وخير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر الصديق، ثم عمر ابن

الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ، لم

يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة على ابن أبي طالب، والزبير

وعبد الرحمن بن عوف، وسعد وطلحة، كلهم للخلافة، وكلهم إمام، ونذهب في ذلك إلى

حديث ابن عمر: كنا نعد ورسول الله ﷺ حي وأصحابه متوافرون: أبو بكر، ثم عمر، ثم

عثمان، ثم نسكت.

(١) الفتح/٢٩

(٢) الأنفال/٧٤:٧٥

(٣) صحيح ابن حبان (٧٢٦٠).

(٤) مسلم (٥٠٦).

ثم من بعد أصحاب الشورى: أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ على قدر الهجرة والسابقة أولا فأولا، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: أصحاب رسول الله ﷺ، القرن الذي بعث فيهم كل من صحبه سنة، أو شهرا، أو يوما، أو ساعة وآه؛ فهو من أصحابه، له الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه نظر، فأدناهم صحبة أفضل من القرن الذي لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه أفضل لصحبتهم من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير. (١)

وسئل الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ عَنْ وصف صحابة رسول الله ﷺ، فبكى الإمام وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السِّمَاءِ وَالسَّمْتِ، والهدى والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم، ونحلت أجسامهم، واستخفوا بسخط المخلوقين؛ رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم في المخلوقين، حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم. (٢)

وسأذكر بعض مناقبهم لعل الله يتقبلنا ويحشرنا معهم:

الصديق أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال الله تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ

(١) شرح أصول السنة (٨٦:٨٥) للجبرين.

(٢) حلية الأولياء (٤٥/١).

نِعْمَةٌ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿١﴾، قال ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ: أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر، ففيها التصريح بأنه الأتقى من سائر الأمة، والأتقى هو الأكرم عند الله؛ لقوله تعالى: ﴿جَدِيدًا﴾ (٢)، (٣).

الفارق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

روى الترمذي، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول ﷺ: "اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأبي جَهْلٍ ابْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ" قال: وكان أحبها إليه عمر. (٤)

ذو النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

روى أحمد في مسنده، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَبِيبٌ" (٥).

أبو الحسين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

روى البخاري في صحيحه، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء، قال: "أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي". (٦)

وقول الإمام رَحْمَةُ اللَّهِ (ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ) هذا هو الصحيح، فالصواب تقديم عثمان على

(١) الليل/١٧: ٢١

(٢) الحجرات/١٣

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي (١٩٨).

(٤) الترمذي (٣٦٨١).

(٥) مسند أحمد (٥١٤).

(٦) البخاري (٤٤١٦).



علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن فقه المسألة، أن من سُئِلَ أيهما أفضل، تكون الإجابة، كما قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ، فقد سأله رجل: أيها أفضل علي أو عثمان، فقال: قد كفانا ذاك عبد الرحمن بن عوف. (١)

والمعنى: أن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو أحد أصحاب الشورى الستة وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقد فوض ثلاثة منهم الأمر إلى ثلاثة؛ ففوض الزبيرَ عليًّا، وفوض سعدُ عبدَ الرحمن بن عوف، وفوض طلحةً عثمانًا، ثم كان أن اختار عبد الرحمن بن عوف عثمان عن علي. ففعل عبد الرحمن بن عوف أقره باقي الستة عليه، فصار كإجماع أهل الحل والعقد.

---

(١) السنة للخلال (٢/٣٠٣).

نُجِبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرُحٌ  
وَعَامِرٌ فَهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدِّحُ

وَأَيْتُهُمُ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ عَلَى  
سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ

## المفردات

(وَأَيْتُهُمُ وَالرَّهْطُ): أي: الصحابة، و (الرَّهْطُ) العصابة دون العشرة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾<sup>(١)،(٢)</sup>.

(نُجِبِ الْفِرْدَوْسِ): النجيب: الكريم الحبيب<sup>(٣)</sup>، والفردوس اسم مكان في الجنة وهو أعلاها، روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ".<sup>(٤)</sup>

(الْخُلْدِ): عدم الموت ودوام الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(تَسْرُحُ): أي تروح وتذهب في أول اليوم، والرواح في آخره.

(فَهْرٍ): اسم علم، وهو أحد أباء النبي ﷺ في سلسلة نسبه، وهو محمد ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر،

(١) النمل/٤٨

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٢٥٩/رهط).

(٣) القاموس (١٥٨١/نجب).

(٤) البخاري (٢٩٧٠).

(٥) الأنبياء/٣٤

وقيل إن فهر هذا وصف واسمه قريش، وقيل العكس اسمه فهر ووصفه قريش. (١)

وذكر فهر عند عامر، لأنه يلتقي مع النبي ﷺ في فهر، فهو: أبو عبيدة عامر بن الجراح ابن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر.

### المعنى العام:

من عقيدة أهل السنة والجماعة في التفضيل بعد الخلفاء الأربعة، تقديم العشرة المبشرين بالجنة، وهم كما روى الترمذي، عن عبد الرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ: "أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ" (٢)

---

(١) الروض الأنف للسهيلى (٢٨/١).

(٢) الترمذي/٣٧٤٧، فهو لاء وغيرهم ممن ساهم النبي ﷺ نطق لهم بالجنة.

مُعَاوِيَةَ أَكْرَمَ بِهِ فَهُوَ مُصْلِحٌ  
بَنَصْرَهُمْ عَنِ ظِلْمَةِ النَّارِ زُخْرُحُوا

وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالَئِنَا  
وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ

## المفردات

(عَائِشُ): مذكر عائشة وأصلها، فتجمع على عائشات، ففي الصحيحين، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: "يَا عَائِشُ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ" (١).

(أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ): أمهات المؤمنين لهن ما لأمهاتهن من أحكام وتوقير، فلا يجلب لأحد أن يتزوجهن فهن محرمات على الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٢)، ومع كونهن محرمات على غير النبي ﷺ فلا يجلب لهن كشف وجوههن لغير محارمهن الأصليين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، وهن إحدى عشرة زوجة؛ خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وسودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وزينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وزينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأم سلمة بنت أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأم حبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصفية بنت حُيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن السرايري: ریحانة بنت زيد بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومارية القبطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(وَخَالَئِنَا مُعَاوِيَةَ): وهو معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو أول ملوك الإسلام وأعداهم وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فهو خال المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) البخاري (٦٢٠١)، مسلم (٢٤٤٧).

(٢) الأحزاب/٥٣

(وَأَنْصَارُهُ): وهم أهل يثرب التي سماها النبي ﷺ المدينة، وهم الأوس والخزرج  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهم الذين نصرُوا رسول الله ﷺ وآووه.

(وَالْمُهَاجِرُونَ): هم المهاجرون، أهل مكة وغيرهم ممن هاجر إلى رسول الله ﷺ إلى  
المدينة، وقد زكى الله عز وجل كلا الفريقين فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

### المعنى العام:

كما سبق الكلام في الصحابة، فأمهات المؤمنين أولى وأولى؛ لأنهن زوجات نبينا  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأمن من الصحابيات، وأمن من زكاهن الله في جملة الصحابة  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد ورد في فضلهن الكثير، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ  
أُمَّهَاتُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكذلك معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فله من الفضل والشرف ما لسائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فعند  
الترمذي، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا  
مَهْدِيًا وَاهْدِ بِهِ"<sup>(٥)</sup>، وفي رواية زاد: "وَلَا تُعَذِّبْهُ"<sup>(١)</sup>، وروى البخاري في صحيحه، عن أم حرام

(١) التوبة/ ١٠٠

(٢) الشورى/ ٢٣

(٣) الأحزاب/ ٦

(٤) الأحزاب/ ٣٢

(٥) الترمذي (٣٨٤٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: "أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا"<sup>(٢)</sup>، وكان قائد هذا الجيش معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإنما حُصَّ الإمام معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالذكر بعد الصحابة مفردًا لأسباب، أذكر منها سببين:

**الأول:** لأن الجيش الذي كان في مقابل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو جيش معاوية، وكلاهما اجتهد في بلوغ الحق، فلما كان الحق بنص النبي ﷺ مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ظن الجاهل السفیه أن معاوية من المضلين، ولذلك تجدد الخوارج والشيعة يسبونهم ويسبون أباهم من الله ما يستحقون.

وأهل السنة يقولون: إن الحق وإن كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مأجور بأجر واحد إن شاء الله تعالى، وكلاهما صحب النبي ﷺ، وكلاهما داخل في رضى الله تعالى، فمن سب أحدهما؛ فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين، وإنما يكون سبًّا لرسول الله ﷺ، لأن المرء يعرف بأصحابه.

**الثاني:** أن أباه: أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قبل إسلامه رأس الكفر والعناد والمنازعة للرسول ﷺ وللمؤمنين، وهذا لا قيمة له بعد إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ: "مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ"<sup>(٣)</sup>.

(١) الشريعة للأجري (٦٣٩).

(٢) البخاري (٢٩٢٤).

(٣) مسلم (١٧٨٠).

وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَالتَّابِعُونَ بِحُسْنِ مَا

حَدُّوا حَذْوَهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا

## المفردات

(والتابعون): قال ابن الصلاح رَحْمَةُ اللَّهِ: قال الخطيب رَحْمَةُ اللَّهِ: التابعي من صَحِبَ

الصحابي، قلت: ومطلقه مخصوص بالتابعي بإحسان. (١)

(حَدُّوا حَذْوَهُمْ): أي مثل طريقهم.

## المعنى العام:

على كل مؤمن موحد بالله تعالى، متبع لنبيه ﷺ؛ أن يعتقد أن أفضل الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم من يليهم من التابعين، ثم من يليهم من تابعي التابعين، وذلك بنص كلام النبي ﷺ، كما روى البخاري في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" (٢)، والقرن: هم الجيل من الناس، أو ما يعادل مائة عام، فمن سار على دربهم، واتبع سيرهم وهديتهم قولاً وفعلاً وحالاً، كان بفضل الله تعالى وحوله من المفلحين.

(١) مقدمة ابن الصلاح (٢٤٩).

(٢) البخاري (٢٦٥٢).

وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ  
وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ  
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ

## المضردات

(طَعَانًا): الطعن يكون بحديدة مَفْسَدَةٌ للبدن، ويكون باللسان مفسدة للعرض، وفي كل هو من سوء الخلق.

(نَطَقَ الْوَحْيُ): أي: رب الوحي إن كان قرآنا، أو رسوله ﷺ إن كان سنة.

(وَفِي الْفَتْحِ آيٌ): أي: في سورة الفتح، وحذفت السورة لوضوح مراد المتكلم، وهذا من عادة العرب الحذف إذا كان الكلام مفهوماً.

(آيٌ) جمع آية، وهي قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: يخبر تعالى عن محمد صلوات الله عليه، أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى

(١) الفتح/ ٢١



الكَافِرِينَ ﴿١﴾ وهذه صفة المؤمنين: أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيمًا برًا بالأخيار، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ ﴿٢﴾، وقال النبي ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ"، وقال: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" وشبك بين أصابعه، كلا الحديثين في الصحيح.

وقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَتَّغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾: وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل احتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول، كما قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ﴿٣﴾، وقوله: ﴿سَيِّئَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿سَيِّئَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: السمات الحسن.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾، ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه، ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: شده ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطل، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزره وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطاء مع الزرع، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ... ثم

(١) المائدة/ ٥٤

(٢) التوبة/ ١٢٣

(٣) التوبة/ ٧٢

قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ من هذه لبيان الجنس، ﴿مَغْفِرَةً﴾ أي: لذنوبهم، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثوابا جزيلا ورزقا كريما، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل، والسبق، والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل. (١)

### المعنى العام

ينصح الإمام موجهاً ومقوماً الأمة بأن توقر أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تذكرهم بالسلب أبداً، فإن الله عز وجل مدحهم وزكاهم، وقد سبق ذكر فضلهم، وكذلك زكاهم النبي ﷺ، وحذّر الأمة من أن يقعوا في سب أحدهم، فقال في الحديث الذي رواه الشيخين في صحيحيهما، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ" (٢).

وقد ذكر غير واحد من الأئمة الأعلام فضل الصحابة وشرفهم، والكف عن ذكر ما يعيبهم، والترضي عليهم جميعاً.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى. (٣).

وقال البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: والكف عن حرب علي، ومعاوية، وعائشة، وطلحة، والزبير رَحِمَهُمُ اللَّهُ أجمعين، ومن كان معهم، لا تخاصم فيهم، وكل أمرهم إلى الله تعالى، فإن رسول الله

(١) تفسير ابن كثير (٧/٣٦٤:٣٦٦).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٥٤١).

(٣) شرح السنة (١٠٣).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَذَكَرَ أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَخْتَانِي" (١)، وقال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" (٢)، وقال أيضا: واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه إنما أراد محمدا ﷺ، وقد آذاه في قبره. (٣)

وقال الفضيل رَحِمَهُ اللهُ: أوثق عملي في نفسي؛ حب أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة ابن الجراح، وحب أصحاب محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ جميعا، وكان يترحم على معاوية، ويقول: كان من العلماء من أصحاب محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٤)

وقال هارون بن معروف رَحِمَهُ اللهُ: ما بيننا وبين أصحاب محمد ﷺ إلا خير، قاتلوا على دين الله عز وجل، ما ينبغي لها هنا إلا الشكر لله عز وجل، ثم لمحمد ﷺ، ثم لأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. (٥)

وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ: أرجو أن أقدم على محمد ﷺ، ولا أخزى في أصحابه غدا. (٦)

---

(١) ورد بلفظ: "أَيُّهَا النَّاسُ، اخْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي، وَأَصْهَارِي، وَأَخْتَانِي...". أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير: ١٠٤/٦، رقم ٥٦٤٠)، وورد بألفاظ متقاربة، وكلها لا تصح، انظر: (السلسلة الضعيفة/٣٦٠١) للألباني، و(ضعيف الجامع/١٥٣٧-١٥٣٨). نقلاً من تعليق الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الجميزي (شرح السنة/هامش ١٠٦/٣).

(٢) شرح السنة (٣٤٧).

(٣) شرح السنة (٤٠٣).

(٤) السنة للخلال (٣٤٣/١).

(٥) السنة للخلال (٣٧٩/١).

(٦) السنة للخلال (٣٨٠/١).

وقال أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ: لا نقول في أصحاب رسول الله ﷺ إلا الحسنى (١).

وقال أيضاً: ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه بحدث كان منه،

أو ذكر مساوئه؛ كان مبتدعاً، حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً. (٢)

وقال المزني رَحْمَةُ اللَّهِ: ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ، أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي ﷺ، ونشني بعده بالفاروق، وهو عمر بن الخطاب

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهما وزيراً رسول الله ﷺ وضجيعاه في قبره، وثالث بذي النورين عثمان ابن عفان

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم بذي الفضل وأتقى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ثم الباقيين من العشرة

الذين أوجب لهم رسول الله ﷺ الجنة، ونخلص لكل رجلٍ منهم من المحبة بقدر الذي

أوجب لهم رسول الله ﷺ من التفضيل، ثم لسائر أصحابه من بعدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين،

ويقال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم، فهم خيار

أهل الأرض بعد نبيهم، ارتضاهم الله عز وجل لنبيه، وخلقهم أنصاراً لدينه، فهم أئمة الدين،

وأعلام المسلمين رضي الله عنهم أجمعين. (٣)

وقال الحميدي رَحْمَةُ اللَّهِ: السنة... الترحم على أصحاب محمد ﷺ كلهم، فإن الله عز

وجل قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ

وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤)، فلم يؤمر إلا بالاستغفار لهم،

فمن يسبهم، أو ينقصهم، أو أحداً منهم؛ فليس على السنة، وليس له في الفيء حق، أخبرنا

(١) السنة للخلال (٤٠٢/١).

(٢) أصول السنة (١١٨).

(٣) شرح السنة (٨٧).

(٤) الحشر/١٠

بذلك غير واحد عن مالك بن أنس، أنه قال: قَسَمَ اللهُ تعالى الفيء فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾<sup>(٢)</sup> الآية، فمن لم يقل هذا لهم، فليس ممن له الفيء.<sup>(٣)</sup>

ففي هذه النقول كفاية، وسوف أزيد إن شاء الله تعالى في (الشرح الكبير) بما يشفي الصدور، ويروي الغليل، ويقطع أبهر الرافضة الملاعين.

---

(١) الحشر/ ٨

(٢) الحشر/ ١٠

(٣) أصول السنة (٣٨).

### المضردات

(وَبِالْقَدْرِ الْمُقْدُورِ): قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى ورسوله ﷺ، وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا: أنه الحكم فقط، ولذلك يقولون: القاضي بمعنى الحاكم، وقضى الله عز وجل بكذا أي: حكم به.

ويكون أيضا بمعنى أمر، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>(١)</sup>، إنها معناه بلا خلاف: أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إياه.

ويكون أيضا بمعنى أخبر، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup> بمعنى: أخبرناه أن دابرههم مقطوع بالصبح، وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup> أي أخبرناهم بذلك.

ويكون أيضا بمعنى أراد، وهو قريب من معنى حكم، قال الله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>، ومعنى ذلك حكم بكونه فكونه.

ومعنى القدر في اللغة العربية: الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء، تقول: قدرت البناء تقديراً، إذا رتبته وحددته، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾<sup>(٥)</sup> بمعنى رتب أقواتها وحددها،

(١) الإسراء/٢٣

(٢) الحجر/٦٦

(٣) الإسراء/٤

(٤) آل عمران/٤٧

(٥) فصلت/١٠

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(١)</sup> يريد تعالى برتبة وحد.

فمعنى قضي وقدر: حكم ورتب، ومعنى القضاء والقدر: حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا فقط، وبالله تعالى التوفيق.<sup>(٢)</sup>

(أَيُّقِنُ): من اليقين، وهو من أعمال القلوب، يظهر على جوارح العبد، أي: صدق تصديقاً لا شك فيه، أن القدر فعل الله عز وجل، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

(دِعَامَةٌ): الدعامة: عماد البيت، ويسمى السيد: الدعامة<sup>(٣)</sup>، فالدعامة أهم ما في الشيء، فمن أهم مسائل الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر.

(عقد الدين): العقد: الجمع بين أطراف الشيء<sup>(٤)</sup>، والعقد: الضمان والعهد، والعقد: القلادة<sup>(٥)</sup>، فعقد الدين هو العهد الذي بين الرب وبين عباده، وهو ما يتقلده الإنسان، ويعتقده بجميع أركانه، لا يخلو منه ركن.

(أَفِيحٌ): واسع<sup>(٦)</sup>.

### المعنى العام:

يقول الإمام رَحِمَهُ اللهُ: من التمسك بحبل الله تعالى وسنن نبيه ﷺ، الإيمان بالقدر، وهو: أن تسلم أن الله عز وجل عَلِمَ كل شيء، وكتب كل شيء، وشاء كل شيء، وخلق كل شيء.

(١) القمر/٤٩

(٢) الفصل في الملل والنحل (٣/٣١).

(٣) الصحاح (٣٧٥/دعم).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٤٣٤/عقد).

(٥) القاموس (١١١٨/عقد).

(٦) القاموس (١٢٧١/فوح).

فدليل العلم، قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ودليل الكتابة: قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ودليل المشيئة: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى:

﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

ودليل الخلق: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

يقول الشيخ حافظ حكيمي رَحِمَهُ اللهُ: الإيذان بالقدر نظام التوحيد، كما أن الإيذان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره هي نظام الشرع، ولا ينتظم أمر الدين ويستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتل الشرح، كما قرر النبي ﷺ الإيذان بالقدر، ثم قال لمن قال له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: "اعْمَلُوا فِكُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ"، فمن نفى القدر زاعما منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته وجعل العبد مستقلا بأفعاله خالقا لها، فأثبت مع الله تعالى خالقا، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون، ومن أثبتته محتجا به على الشرع محاربا له به نافيا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله تعالى إياها وكلفه بحسبها زاعما أن الله كلف عباده ما لا يطاق، كتكليف الأعمى بنقط المصحف، فقد نسب الله تعالى

(١) البقرة/٣٠

(٢) يس/١٢

(٣) الحديد/٢٢

(٤) التكوير/٢٩

(٥) الأنعام/٣٩

(٦) الزمر/٦٢



إلى الظلم وكان إمامه في ذلك إبليس لعنه الله تعالى إذ يقول: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وأما المؤمنون حقاً فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله خالق ذلك كله، وينقادون للشرع أمره ونهيه ويحكمونه في أنفسهم سرا وجهراً، والهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركاً على القدر.<sup>(١)</sup>

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (١٠٥).

وَلَا الْخَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنصَحُ

وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا

### المضردات

(نَكِيرًا وَمُنْكَرًا): وهما ملكان أسودان أزرقان، يسألان العبد بانتهاز في القبر عن ربه، ودينه، والنبى الذي بُعث فيه، وقد ساهم رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال ﷺ: "إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ".<sup>(١)</sup>

(الْخَوْضُ): من حاض الماء، أي: جمعه<sup>(٢)</sup>، وقد وصفه رسول الله ﷺ فقال: "خَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أبيضٌ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا"<sup>(٣)</sup>.

(وَالْمِيزَانُ): من وزن، والوزن: معرفة قدر الشيء بالعدل، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾<sup>(٤)</sup>.  
(تُنصَحُ): أي: تُرشدُ، وتوجه إلى الخير والفلاح.

### المعنى العام:

يقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: اعتقد أيها العبد المستمسك بحبل الله وسنة نبيه ﷺ، أن كل إنسان محاسب بعمله، وأول الحساب القبر، فإن العبد إذا انقطع من الدنيا آتاه ملكان من قبل

(١) الترمذي (١٠٧١)، وقال: حديث أبي هريرة: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.

(٢) القاموس (٤٢٢/حوض).

(٣) البخاري (٦٥٧٩).

(٤) الأنبياء/٤٧

الرب عز وجل يسألانه وينتهرانه: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في الرجل الذي بُعث فيكم؟ فإن كان من أهل الفلاح قال: ربي الله، ديني الإسلام، والرجل هو محمد ﷺ، أما الشقي فلا يستطيع الجواب، ويقول: هاه هاه لا أدري، فقد روى الترمذي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرَزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يَنْوِرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةَ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِمْ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ" (١).

ومنكر ونكير ملكان كريمان، وكَلَّهُمَا اللهُ تعالى بسؤال العبد عند الموت، فالإيمان بهما من الإيمان بالملائكة، والإيمان بالملائكة يكون بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بأنهم خلق من خلق الله تعالى، فهم ليسوا بنات لله، ولا تصرف العبادة إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿لَنْ

(١) الترمذي (١٠٧١)، وقال: وفي الباب عن علي، وزيد بن ثابت، وابن عباس، والبراء بن عازب، وأبي أيوب، وأنس، وجابر، وعائشة، وأبي سعيد، كلهم رَوَوْا عن النبي ﷺ في عذاب القبر.

(٢) آل عمران/ ٨٠

يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢).

الثاني: الإيـان بأسمائهم التي وردت في الكتاب والسنة، مثل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ورضوان، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، وقيل هذان وصفان وليسا اسمان عليهم السلام أجمعين، وملك الموت، والحفظة... الخ

الثالث: الإيـان بصفاتهم الخلقية والخلقية التي وردت في الكتاب والسنة، فمنها: أنهم كرام بررة، وأنهم مخلوقون من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم مسبحون ذاكرون الله أبداً لا يفترون.

رابعاً: الإيـان بوظائفهم التي وردت في الكتاب والسنة، ومنها: الوحي لجبريل، والقطر والأرزاق لميكائيل، والقبض للأرواح لملك الموت، والصُّور لإسرافيل، وخزْنُ النار لمالك، وخزْنُ الجنة لرضوان... الخ.

والإيـان بمنكر ونكير إيـانٌ بعذاب القبر ونعيمه، وقد خالف في هذا الباب المعتزلة الذين ينكرون الغيبات.

وقد ذكر الإمام رَحْمَةُ اللَّهِ الإيـان بالحوض والميزان، فالحوض: مصب نهر الكوثر الذي وعد الله نبيه إياه، فقال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (٣)، والكوثر: نهرٌ في الجنة، وهو ماء الحوض، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حافَّتاه من الدرِّ المُجَوَّفِ والذهب، ومجراه على

(١) النساء/١٧٢

(٢) النجم/٢٧:٢٨

(٣) الكوثر/١

الياقوت والدر، طينته مسك أذفر، ففي حديث المعراج عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيْلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي، نَعَمْ الْإِبْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهْرَيْنِ يَطْرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذَا النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ عُنُصْرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُوٍ وَزَبْرَجِدٍ، فَضْرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي حَبَأَ لَكَ رَبُّكَ" (١).

فالحوض هو مصب الكوثر، ويردُّ عليه الخلق ليشربوا، فمنهم من يشرب بيد النبي الشريفة ﷺ، ومنهم من يشرب بيده، ومنهم من يرُدُّ لا يشرب منه بعد طول ظمأ، فقد روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا" قالوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ" فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: "أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهُمٍ بِيَهُمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قَالَ: "فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالٌ عَنِ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أَنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُخْقًا سُخْقًا" (٢).

وذكر الإمام رَحِمَهُ اللهُ أَيْضًا الميزان، وهو ميزان أعمال العباد، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا

(١) البخاري (٧٥١٧).

(٢) مسلم (٢٤٩).

بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٢)، وقال: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

ومن السنة: قول النبي ﷺ لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ"، وقوله ﷺ: "كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ" (٤)، وقوله ﷺ: "إِنَّهُ لَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ" (٥).

فقد دلت الآيات والأحاديث على أن ما يوزن في الميزان:

١- الأعمال، كما في حديث الكلمتان. (٦)

٢- الأشخاص، كما في العبد السمين. (٧)

٣- الصحف، كما في حديث صاحب التسعة والتسعين سجلاً. (٨)

(١) الأنبياء/٢٧

(٢) الزلزلة/٦: ٨

(٣) الأعراف/٨

(٤) البخاري (٧٥٦٣).

(٥) البخاري (٤٧٢٩).

(٦) البخاري (٧٥٦٣).

(٧) البخاري (٤٧٢٩).

(٨) الترمذي (٢٦٣٩)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني،

وهو ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ

قال الإمامان أبو زرعة وأبو حاتم الرازيين: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمناً، فكان من مذهبهم: ... والصراط حق، والميزان حق، له كفتان توزن فيه أعمال العباد، حسنها وسيئها، حق. (١)

أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنْتُمْ مَنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكِ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: "فَتَوَضَّعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَنُقِلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ"

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢٨٩/١)

مِن النَّارِ أَجْسَادًا مِّنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ  
كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ  
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِإِيَّاهِ

## المفردات

(أجسادًا): قال الخليل رَحْمَةُ اللَّهِ: لا يقال الجسد إلا على الإنسان<sup>(١)</sup>.

(مِنَ الْفَحْمِ): أي صاروا كالفحم، لا أن أصلهم من الفحم، والفحم: الجمر الطافيء، وواحدته فحمة<sup>(٢)</sup>، قال رسول الله ﷺ: "أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ..."<sup>(٣)</sup>.

(كَحَبِّ): الحَبُّ: بذور البقول<sup>(٤)</sup>.

(وَحَمِيلِ السَّيْلِ) قال البغوي رَحْمَةُ اللَّهِ: هو ما حملة السيل - الماء المنحدر بشدة - وهو ما جاء به من طين، فإذا اتفقت فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، وهي أسرع نابتة نباتًا<sup>(٥)</sup>.

(يَطْفَحُ): من طفح يطفح طَفْحًا وطفوحًا: أي امتلأ وارتفع، وإناءٌ طفحان: يفيض

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١٣٤/جسد).

(٢) القاموس (١٢٢٤/فحم).

(٣) مسلم (١٨٥).

(٤) القاموس (٣١٨/حبيب).

(٥) شرح السنة للبغوي (١٧٧/١٥)، وقد سألت شيخي أبا معاذ سامي بالي حفظه الله عن معنى هذه اللفظة، فقال: ينبتون كنبته حبة الفول، فإنها تنفلق وتخرج النبتة الصفراء منها.



جوانبه. (١)

### المعنى العام:

يذكر الإمام رَحْمَةُ اللَّهِ مسألة من أهم المسائل التي تميز أهل السنة عن الخوارج والمعتزلة، وهي إخراج أصحاب الكبائر من النار، وثبوت الشفاعة للنبي ﷺ.

يقول الإمام أبو بكر رَحْمَةُ اللَّهِ: وقل أيها العبد موقناً بما تقول: أن الله تعالى من تمام فضله وإحسانه يخرج من النار أناساً قد تفحموا في النار على قدر ذنوبهم بشفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الشهداء والصالحين، وشفاعة القرآن والصيام، وشفاعة الملائكة، وشفاعة من أذن له الله عز وجل أن يشفع، فيخرجهم عز وجل فيقذفهم على شاطئ نهر يسمى نهر الحياة، فينبتون بأسرع ما يكون كما تنبت الحبة إذا جرف إليها السيل طينها وطميها، وذلك لأنهم ماتوا وهم موحدين بالله تعالى، ولكن أزلهم الشيطان ببعض الأعمال استحقوقا بها عذاب الله تعالى، فلما قضوا ما عليهم وشاء الرب عز وجل أن يخرجهم أخرجهم بفضل ومنة وجود وإحسان منه عز وجل، وهو العزيز الحكيم.

وقد ثبت في السنة إخراج الموحدين من النار بعدما سفعتهم النار، ففي حديث الشفاعة الطويل الذي رواه الشيخين، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: "... فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ" (٢)

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً

(١) القاموس (١٠٠٨/ طفتح).

(٢) البخاري (٧٥١٠)، مسلم (١٩٣).

مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ  
السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ فِكْلُ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ  
إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ اِمْتَحَشُوا فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ  
فِي حَمِيلِ السَّيْلِ" (١).

---

(١) البخاري (٨٠٦)، مسلم (١٨٢).

وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ

## المفردات

(شافعٌ): اسم فاعل من شَفَعَ، والشَّفَعُ خلاف الوَثْر، وهو الزوج تقول: كان وترًا فَشَفَعْتُهُ شَفْعًا، وشَفَعَ الوتر من العدد شفعًا صيره زوجًا<sup>(١)</sup>، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: الشفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة<sup>(٢)</sup>.

## المعنى العام:

من الإيذان باليوم الآخر، الإيذان بأن النبي ﷺ له الشفاعة الكبرى يوم القيامة، والشفاعة فضلٌ من الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، رفعة له وتكريماً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾<sup>(٣)</sup> والمقام المحمود هو الشفاعة، كما ذكر غير واحد من المفسرين.

ومن السنة: ما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةَ لَأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ"<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ

(١) لسان العرب (١٨٣/٨).

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٦٦).

(٣) الإسراء/٧٩

(٤) البخاري (٦٣٠٤)، مسلم (٣٣٤/١٩٨).

ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ (١).

وللنبي ﷺ شفاعات:

١- الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة الأولى للنبي ﷺ، ففي الصحيحين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصْرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ هُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ

(١) البخاري (٤٧١٨)

فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمَتِ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَاتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ اذْهَبْ رَأْسَكَ، سَلِّ تَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمُصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى<sup>(١)</sup>.

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها، روى مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ"<sup>(٢)</sup>.

٣- الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين: وهذه الشفاعة هي للمذنبين من أهل التوحيد

(١) البخاري (٤٧١٢)، مسلم (٣٢٧/١٩٤).

(٢) مسلم (١٩٦).

من أمة محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي" (١).

٤- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة، ومنه دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَبِي سَلَمَةَ وَأَزْغِ دَرَجَتَهُ فِي الْمُهْدِيِّينَ، وَأَخْلِفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأفْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّزْ لَهُ فِيهِ" (٢).

٥- شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب: ودليلها ما جاء في الصحيحين، عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغض لك؟ قال: "نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" (٣).

وذكر الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ القبر وعذابه، فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة، الإيذان بأن العبد، إما منعم في قبره، وإما معذب، قال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤) فإن آل فرعون يعذبون في قبورهم إلى أن تقوم الساعة، فإن قامت عذبوا في نار جهنم.

وفي الصحيحين، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في الصلاة: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ" (٥).

(١) صحيح الترغيب والترهيب: ٣/٣٦٤٩

(٢) مسلم (٩٢٠).

(٣) البخاري (٣٨٨٣)، مسلم (٣٥٧/٢٠٩).

(٤) غافر/٤٦

(٥) البخاري (٨٣٢)، مسلم (٥٨٩).

فَكُلُّهُمْ يُعْصِي- وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ  
مَقَالَ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا  
وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ

## المفردات

(ذُو الْعَرْشِ): صاحب العرش.

(رَأْيِ): لم يقل: دين، أو معتقد، لأن أصل مقالاتهم إنما هو محض رأي رأوه لا دليل عليه.

(الْخَوَارِجِ): قال الدكتور ناصر العقل حفظه الله: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم<sup>(١)</sup>، ويقول الشهرستاني رَحِمَهُ اللهُ: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً؛ سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان<sup>(٢)</sup>.

(يُرْدِي): من رَدَى يُرْدِي، وردى: أي هلك<sup>(٣)</sup>.

## المعنى العام:

يقول الإمام رَحِمَهُ اللهُ: ولا تحكم على أحدٍ من أهل الملة بالكفر خاصة المصلين، وذكر الصلاة هنا لأنها الفارق بين المسلم والكافر، كما روى الترمذي، عن عبد الله بن بريده، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: "الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ"<sup>(٤)</sup>، فالمسلم لا يكفر أحداً من أهل القبلة لذنب اقترفه.

(١) دراسات في الأهواء والبدع (٢/٢١).

(٢) الملل والنحل / ٧٥، تنبه أخي بارك الله فيك من ضابط (الإمام الحق).

(٣) القاموس (٦٣٣/ردى).

(٤) الترمذي (٢٦٢١)، وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني.

قال الإمام الصابوني رَحِمَهُ اللهُ: ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبني أهل التوحيد، ومرتكبي الكبائر، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذكر قول النبي ﷺ: "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي" (١).

ومرتكبُ الكبيرة الذي لم يتب منها بين حالات ثلاثة: واحدة في الدنيا، واثنان في الآخرة.

أما التي في الدنيا: أن يُحَدَّ الحد فيكون له جابر.

والحالتان اللتان في الآخرة: إما أن يعاقب في النار ثم يخرج منها، أو يعفو الله عز وجل عنه ولا يعاقبه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه مبايعًا إياهم: "بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا، أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ" (٢).

والخوارج قومٌ سوء، وقد ذكر رسول الله ﷺ فضل من قتلهم أو قتلوه، فقال: "يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَّتْهُمُ الْأَسْنَانُ سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيَّاهُمْ حَنَاجِرُهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لَنْ قَتَلْتُمُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣).

(١) شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١٧٨).

(٢) البخاري (١٨).

(٣) البخاري (٢٦١١).



أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرُحُ  
وَفَعَلَ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحٌ  
بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ  
وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ  
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً

## المفردات

(مُرْجِيًّا): أي مرجئاً، وهو من التأخير، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمُدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، والمرجئة: قوم يدعون أن الإيمان لا يدخل في العمل، وهم فرق، أصولها أربعة: مرجئة الجهمية، ومرجئة الكرامية، ومرجئة الأشاعرة، ومرجئة الفقهاء، وقد اشتركوا جميعاً في أن العمل ليس من مسمى الإيمان، مع الفرق بينهم في تعريف الإيمان.

(لِعُوبًا): فعولاً من لعب، قال الفيروزآبادي: لعوباً: المرأة الحسنه الدلال<sup>(٢)</sup>، واللعب: الهزل وعدم الجد، واللعب الهازل الغير جاد في أمره.

(يَمْرُحُ): المزاح قد يكون مباحاً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون حراماً، فالمزاح في دين الله من المحرمات المنهي عنها، قال تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(طَوْرًا وَتَارَةً): كلمتان بمعنى واحد، والطور: الحد بين الشئيين، والقدر<sup>(٤)</sup>، أي ينقص الإيمان قدرًا ما في مرحلة، ويزداد قدرًا ما في مرحلة أخرى.

(١) الأعراف/ ١١١

(٢) القاموس (١٤٧٤/ لعب).

(٣) التوبة/ ٦٥: ٦٦

(٤) القاموس (١٠٢٣/ طور).

(يُنْمِي): أي يزداد ويكبر، وهو من النماء.

(وفي الوزن): أي في الميزان يوم القيامة، فإن الأعمال توزن كما سبق الكلام عنها، قال

تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

### المعنى العام:

كما حذر الإمام رَحِمَهُ اللهُ مقالة الخوارج، فإنه يحذر مقالة المرجئة، التي جعلت الدين أرق ما يكون، فجعلت الإيمان بالله قد يكون تارة: هو المعرفة، أو هو تصديق القلب فقط، أو هو قول اللسان فقط، أو هو القول باللسان وتصديق القلب فقط.

أما أهل السنة والجماعة فيقولون: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم، أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحدٌ من الثلاثة إلا بالآخر.<sup>(٢)</sup>

وقال يحيى بن سليم رَحِمَهُ اللهُ: سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان، فقالوا: قول وعمل، سألت سفيان الثوري، وسألت ابن جريج، وسألت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وسألت المثني بن الصباح، وسألت نافع بن عمر بن جميل، وسألت محمد بن مسلم الطائفي، وسألت مالك بن أنس، وسألت سفيان بن عيينة.<sup>(٣)</sup>

(١) الزلزلة/٨

(٢) شرح أصول الاعتقاد (١٣٩/٥).

(٣) شرح أصول الاعتقاد (١٣٠/٥).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. (١)

وقال الآجري رَحِمَهُ اللهُ: اعلّموا رحمتنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلّموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزيء معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً، دل على ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين. (٢)

فهذه إجماعات السلف رَحِمَهُمُ اللهُ، ومستندهم من الكتاب والسنة.

فدليل القلب: قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٤).

ودليل اللسان: قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٥).

وروى البخاري في صحيحه، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ

(١) أصول السنة (٧٩).

(٢) الشريعة/٩٦

(٣) الحجرات/١٤

(٤) المائدة/٤١

(٥) البقرة/١٣٦

أَقَاتِلِ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلُّوا صَلَاتِنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتَنَا وَدَبَّحُوا ذُبُحَتَنَا فَقَدْ حَرَمْتَ عَلَيْنَا دِمَاؤَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ" (١).

ودليل الجوارح: قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٢)، وقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٣).

والدليل على أن الإيثار يزيد وينقص قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (٤) فلما زاد الهدى دل على النقص، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٥) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٥).

وروى ابن حبان في صحيحه، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ، فَكَلِمًا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِّي تَلِيهَا، فَأَوْهَنْ نَقْضًا: الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ" (٦)، وفي هذا دليل على أن ذهاب الأعمال هو ذهاب الإسلام، والله أعلم.

(١) البخاري (٣٩٣).

(٢) البينة/٥

(٣) الكهف/١١٠

(٤) محمد/١٧

(٥) الأنفال/٢

(٦) صحيح ابن حبان (١١١/١٥).

وَدَغَ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ  
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ  
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ

فَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ  
فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ  
فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَيْبَتْ وَتُصْبِحُ

## المفردات

(أزكى وأشرح): الزكاء: النماء<sup>(١)</sup>، والشرح: البسط، قال الراغب: وشرح الصدر: بسط بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه<sup>(٢)</sup>، فمتابعة قول رسول الله ﷺ أنمي للإيمان في القلب، وأسكن للقلب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(فَطَعَنَ): من طعن، والطعن: الضرب والوخز<sup>(٤)</sup>، ففيه من الأذى ما فيه، فالطعن بالرمح فيه أذى للبدن، وطعن المرء لغيره فيه أذى للنفس.

(أهل الحديث): أي: أصحاب الحديث المشتغلين به رواية ودراية، وأهل الحديث صار لقباً لأهل السنة والجماعة؛ لتوقيرهم حديث النبي ﷺ، لأنه قسيم الوحي، وتقديمه على الهوى والرأي، وقد صنف الصابوني رسالته في العقيدة باسم: (عقيدة السلف أصحاب الحديث).

(الدَّهْرُ): هو الزمن، وقد وهم من عدّه اسماً من أسماء الله تعالى، فقد روى البخاري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ "قَالَ اللَّهُ يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي

(١) القاموس (٧١٣/زكى).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٣٣٤/شرح).

(٣) الشرح/١

(٤) القاموس (١٠٠٦/طعن).

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ" (١)، وقد عاب الله تعالى من يعتقد أن الدهر هو الزمن، وأنه يجبي ويميت، فقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢).

فكيف يكون اسماً من أسماؤه سُبحانه وتعالى!؟

(يا صاح): الصيخ: الصوت بأقصى طاقة (٣)، فكأن الإمام ينادي من يخاطبه بأعلى صوته مشفقاً عليه منبهاً له أن يقع في المهالك، وقد يراد يا صاحبي، وقد خفت.

### المعنى العام:

ختم الإمام رَحْمَةُ اللَّهِ حائثه بوصية غالية نفيسة، حذر فيها متابعة أراء الرجال وترك حديث النبي ﷺ، فكم من غوي وضال ومتهوك قد ضلوا الطريق لهوى أو لرأي رأوه، وقد حذرنا الله عز وجل من متابعة الهوى، وترك الوحي فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ

(١) البخاري (٦١٨١).

(٢) الجاثية/٢٤

(٣) القاموس (٩٥٩/صيح).

(٤) الكهف/٢٨

(٥) الفرقان/٤٣

(٦) القصص/٥٠

وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾.

فكل ما سبق يدل دلالة بينة على وجوب متابعة الكتاب والسنة، وترك الهوى وأراء الرجال، فإن العالم ما عظم قدره في عيون الخلق إلا لمتابعته الكتاب والسنة، فعلى قدر المتابعة يكون علو الذكر في الدنيا والآخرة، والله يخلق ما يشاء ويختار.

فالإمام رَحْمَةُ اللَّهِ ينادي بأعلى صوته: لا تكونوا من أهل الأهواء، الذين يطعنون في حملة الحديث، فوالله إن بغضهم للنبي ﷺ حملهم على الطعن في حملة كلامه ﷺ، فإن من علامات أهل البدع سبُّ حملة الحديث، وكان أبو نصر بن سلام الفقيه يقول: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده<sup>(٢)</sup>.

ثم يختم الإمام منظومته فيقول: واعلم يا صاحبي: أن من تمسك بكل ما سبق ذكره معتقداً به؛ فلح في الدنيا والآخرة، وبات مسروراً، وأصبح من الفائزين.

---

(١) الجاثية/٢٣

(٢) شرح عقيدة السلف للصابوني (٣٦١).

قال أبو بكر بن أبي داود: هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل، وقول من أدركنا من أهل العلم، ومن لم ندرك ممن بلغنا عنه، فمن قال غير هذا فقد كذب.

### المعنى العام:

وهذا قول أهل السنة والجماعة قاطبة لا خلاف فيه، وفي كل مسألة من المسائل التي وردت نُقل فيها الإجماع، وهذه عقيدتي أسأل الله تعالى أن يبيّنني عليها وأن يمتني عليها، وأن يغفر لي، ولوالدي، ولمشايخي، ولأهل بيتي، ولمن أساء إليّ، ولسائر المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

كُتِبَ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

أَبُو سُفْيَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّامِيُّ

صَفْرَ ١٤٣٥

٠١٠٠٥٨٧٨٠٥١